رولان بارت

التحليل النصّي

تطبيقات على نصوص
من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة

ترجمة وتقديم
عبد الكبير الشرقاوي

مع قاموس للمصطلحات

دار التكوين

2009

دراسات	التكوين

❖ الكتاب: التحليل النصي

❖ الكاتب: رولان بارت

❖ ترجمة وتقديم: عبد الكبير الشرقاوي

تلفاكس: 2236468 11 00963
ص . ب: 11418، دمشق ـ سوريا
www.attakwin.com

ولـ منشورات الزمن ـ المغرب ـ الرباط
تلفاكس 299844 37 00212
هاتف 643496 37 00212

تقديم

تنظير وتطبيق

توجد قطيعة إبستمولوجية وإجرائية بين النظرية وتطبيقاتها، بين العام (مجال النظرية وإطارها)، والخاص (حقل العيني والمفرد واللاّشبيه). ومعلوم أن **رولان بارت** كان من المساهمين الأوائل في تأسيس المطلب النظري والوضع العلمي في دراسة الأدب لتجاوز ممارسة كانت تتراوح بين نقد تقويمي أو انطباعي لنصوص الأدب؛ ودراسة خارجية لمحدِّدات النص مستمدَّة من علوم إنسانية أخرى أو من نظريات عامة فلسفية أو نفسانية أو تاريخية. إن نظرية الأدب لابد أن تقوم على أساس نظري علمي مستقلٌ، لكن في انتظار تحقيق هذا المطلب العسير، ستُؤَمِّن البنيويةُ الإطارَ الفلسفي والمنهجي، في حين أن اللسانيات ستكون هي النموذج الإجرائي، لاسيما أن النص الأدبي هو قبل كل شيء إبداع لغوي. لكن **بارت** لم يكن أبداً مُنَظِّراً تجريدياً، أو باحثاً منغلقاً داخل إشكالية بحثه، إذ أن حضور النص حسِّياً، ولذته، و فرادته، وتمرُّده على الاختزالات النظرية، والتفجر

المستمر لاشتغال دلالاته، لم يغب أبداً عن اهتمامه، فهو يعتبر نفسه قبل كل شيء كاتباً بالمعنى الذي كان يُحبّ أن يعطيه لهذه الكلمة؛ أي كتابة مُتحرِّرة ومُحَرِّرة من هيمنة «المَا سَلَف» و«الجاهز» و«الدوغمائي»، حتى لو كان الماسلف نظريات ذات مزاعم علمية.

إذن كان لابد أن يتجه بارت إلى «النص»، وأن يحلل نصوصاً لذاتها، لينجز في المرحلة الأولى تطبيقا للنظرية، وليمارس في مرحلة ثانية القراءة الإنتاجية التي لاتخضع لمقروئية النص، بل تحاول تفكيك أنساقه المكوِّنة لنسيجه، والكشف عن اشتغاله الدلالي المتواصل. والتطبيقات التي أنجزها هي أساساً تحليل لنص من الإنجيل ونص من التوراة وقصة قصيرة لـ**إدغار بو**. وهذه التحليلات، إلى جانب كتاب S/Z، حيث يحلِّل بتفصيل رائع قصة لـ**بلزاك**، هي التي نعاين فيها حضورياً، إذا جاز التعبير، طريقة بارت الفذّة في القراءة والتحليل، ونرى فيها الكتابة المَرِنَة والمتحرِّرة من هيمنة الخطاب التنظيري، لكننا نرى فيها أيضاً استخداماً «إبداعياً» لمنجزات النظريات البنيوية واللسانية والسردية. ولاشك أن هذه التحليلات هي «اختبار» بالمعنى التجريبي وبالمعنى المدرسي للكلمة: اختبار للنظرية على «أرضية» التطبيق العملي، واختبار من بارت لبارت نفسه، إذ لاشك أنه قد تخيَّل أنّ القارئ سينتظر نتائج «الاختبار»، بابتسامة غامضة هي مزيج من الفضول والإشفاق، وكأنه يقول: لننظر الآن على أرض الواقع ماذا سيحصل للمبادئ النظرية، وكيف سيواجه المحلل صلابة النصوص! ومن هنا أهمية هذه التحليلات:

1 ـ فهي ذات قيمة تاريخية، إذ تؤرِّخ لمرحلة من نشوء النظرية الأدبية الحديثة، وتأسيس مناهج التحليل الحديثة.

2 ـ وقيمة منهجية إذ أن مقياس قيمة نظرية من النظريات، أو منهج من المناهج هو في قوتها التفسيرية، ونفاذها إلى ظواهر جديدة في النص لم تُلاحظ من قبل.

3 ـ وقيمة تعليمية إذ أن الممارسة التعليمية في كل أطوار التعليم ومؤسّساته تتعامل مع النصوص وتواجه معضلات تحليلها، بل إن تحليل النصوص يمثل الأساس في تعليم الأدب في مختلف تخصصاته. وطريقة الوحدات القرائية التي انتهجها **بارت** ملائمة جداً للأغراض التعليمية ولاستعمالها بالوسائط والأجهزة الحديثة لمعالجة النصوص.

نصوص

إذا كانت حكاية الكاتب الأمريكي **إدغار آلن پو** (1809 ـ 1849)، وهي النص الثالث الذي ينجز بارت تحليلاً نصياً له ضمن هذا الكتاب، تندرج ضمن النصوص السردية التخييلية المشكّلة لمادة «علم السرد» الذي كان **بارت** من بين أوائل مَن وضع أسس قواعده في مقاله الشهير **مدخل إلى التحليل البنيوي للسرد**[1]؛ فإنّ النصّيْن الآخرين يندرجان ضمن مجال النصوص الدينية، إضافة إلى طابعهما السردي. ومن الملائم هنا عرض بعض المعطيات الوجيزة لتوضيح الإطار التاريخي والنظري الملازم لتحليل نصوص التوراة والإنجيل؛ ووضع عمل **بارت** في موقعه ضمن «النص الواصف»

1 ـ وهو اول مقال في العدد الثامن من مجلة Communications، سنة 1966، هذا العدد الذي يعتبر تدشيناً لما يسمى فيما بعد علم السرد Narratologie، وقد ترجم المقال ترجمات عديدة إلى العربية، انظر مثلاً الترجمة المنشورة له مع مقالات أخرى من نفس العدد من المجلة في كتاب: طرائق تحليل السرد الادبي، منشورات اتّحاد كتّاب المغرب، 1992.

الضخم والموغل في القِدَم الذي تراكم حول نصوص العهدين القديم والجديد.

إنَّ مايُسَمَّى في التقليد المسيحي باسم **الكتاب المقدس**، ينقسم إلى قسمين:

العهد القديم (أو التوراة)، ويتألف (حسب العرف الكاثوليكي) من أربعين كتاباً (أو سِفْراً) بالعبرية وستة باليونانية، وهو مشترك بين المسيحيين واليهود؛ و**العهد الجديد** (أو الإنجيل)، ويتألف من 27 كتاباً: الأناجيل الأربعة (المسمَّاة بأسماء، مدوِّنيها: متى ومَرْقَس ولُوقا ويُوحَنَّا)، وأعمال الرُّسُل، ورسائل تلامذة المسيح، وسفر الرؤيا؛ والعهد الجديد خاص بالمسيحيين لايعترف به اليهود.

وقد اختار **بارت** النص الأول من **أعمال الرسل**، وهو تكملة للإنجيل دوَّنها **لوقا**، ويروي أعمال تلامذة المسيح أثناء تأسيسهم للكنيسة ونشرهم للمسيحية في بداياتها بين اليهود أولاً ثم بين سائر الأمم ثانيا، والنص يتناول أساساً مشكلة انضمام غير اليهود (غير المختونين) إلى الجماعات المسيحية الأولى.

أمَّا النص الثاني فهو مستمدٌّ من **سفرالتكوين**، الكتاب الأول في التوراة، ويسجِّل مرحلة حاسمة في حياة يعقوب ابنْ إسحق وحفيد إبراهيم، وهو الفصل الذي اشتهر بعنوان **الصراع مع المَلاَك**.

كان آباء الكنيسة في أوائل نشأتها (وتلاميذ المسيح قبل غيرهم) هم الذين يَتَوَلَّوْن تفسير **الكتاب المقدس**، وكانوا يعتبرون أنَّ **العهد الجديد** هو أساساً تفسيرللعهد القديم، فظهر التفسير الرمزي لحرفية العهد القديم؛ هناك الحرف وهناك الروح، والإنجيل ـ حسب المفسِّرين

ـ هو الوسيلة لبلوغ روح **الكتاب المقدّس**، ويرون أن الأناجيل جاءت لَتُحقق وتجسّد في المسيح ماكان **العهد القديم** قد تضمّنه رمزياً. فالإنجيل تتميم وتكميل للتوراة. وهكذا تأرجحت اتّجاهات التفسير مابين الذين يُشَدِّدون على التفسير الحرفي والذين يشدّدون على التفسير الرمزي الروحي، وبينهما اتجاهات توفيقية. ولكن هذا التفسير باتجاهاته كان متوارثاً داخل الكنيسة ومؤسّساتها. وتبلورت، خصوصاً في العصر الوسيط، نظرية المعاني الأربعة الكامنة في نصوص التوراة والإنجيل :

1 ـ المعنى الحرفي أو التاريخي، أي معنى الأحداث كما جرت ؛
2 ـ المعنى الرمزي أو الروحي حيث تتجلّى أسرار الإيمان ؛
3 ـ المعنى الإنساني أو الخُلُقي الذي يُعلم المؤمن قواعد سلوكه ؛
4 ـ المعنى الروحاني الذي يكشف للمؤمن النِّقاب عن الغاية الأخيرة التي سيبلغها.[2]

وهكذا تميز تفسير العهدين القديم والجديد خلال العصر الوسيط (حتى القرن الرابع عشر) بالأمانة لآباء الكنيسة، وكان الكتاب يعتبر المرجع والمقياس لكل حقيقة. وما الفلسفة والعلوم والفنون سوى خادمة له، ولايمكنها أن تكون حاملة لحقيقة تخالفه أو تناقضه.

لكن عصر النهضة في أوروبا شهد استقلال العلم بعد أن كان خادماً للإيمان. وهذا العلم المستقلّ يقوم على ملاحظة مستقلّة للظواهر الطبيعية وقوانينها، وظهرت بذور التجربة الفردية، ونقد سلطة النصّ

2 ـ وقد شاع آنئذ بيتان باللاتينية يلخّصان هذه المعاني الأربعة :

Littera gesta docet, quid credas allegoria
moralis quid agas, quo tendas anagogia

يُعلّم الحرف الأحداث، والرمز ماعليك الإيمان به
والمعنى الخلقي يُعلّم ماعليك ان تفعله، والروحانية ماتصبو إليه.

لصالح سلطة العيان التجريبي، فكان لابد أن ينكشف التناقض بين الكنيسة والعلم الوليد (كما يتجسد ذلك في النزاع المشهور بين جاليلي والسلطات الدينية).

ثم صارت التوراة والإنجيل نفسهما موضوعا للبحث العلمي، فبدأ البحث في الظروف التاريخية التي شهدت ولادة النصوص وتكوّنها وكيفيات انتقالها عبر القرون، وفي مؤلفيها ولغتها (أو بالأحرى لغاتها)، وهذا يعني أن التوراة والإنجيل قد أُنزلا من موقعهما المتعالي على التاريخ إلى مرتبة الحدث التاريخي الخاضع، مثل كل الظواهر التاريخية، لعوامل النشوء والتطور والتحول. وقد بلغ هذا النقد التاريخي لنصوص التوراة والإنجيل أوجه في القرن التاسع عشر.

كما أثبت علم الآثار وفك رموز نصوص الحضارات المصرية والسومرية والآشورية البابلية، وجودَ صلات القرابة بين روايات التوراة وأساطير الشرق الأوسط القديمة. وهكذا بدأ عهد تاريخ الديانات المقارن والميثولوجيا المقارنة، وبدأ التنقيب في النصوص التاريخية والحفريات الأثرية لمعرفة حقيقة ماحدث فعلاً، ونقد ما أوردته نصوص العهدين القديم والجديد عن تلك الأحداث (مثلاً البحث في سيرة المسيح انطلاقاً من علم التاريخ وعلم الآثار، في استقلال عن الإنجيل أو تقليد الكنيسة).

ثم ظهرت مدرسة « تاريخ الأشكال » التي تدرس نصوص التوراة والإنجيل باعتبارها متشكّلة من أنواع خطابية ووحدات أدبية صغرى (مثل الأدعية والنبوءات، والحكايات التعليلية حول اسم مكان، والحكاية العجائبية، والمحكي الأسطوري... إلخ) ؛ وبعد ذلك يتم

البحث في البيئات التي أنتجت تلك النصوص وعوامل انتشارها بين تلك البيئات ووسائل ذلك الانتشار (الطقوس والمؤسسات) .

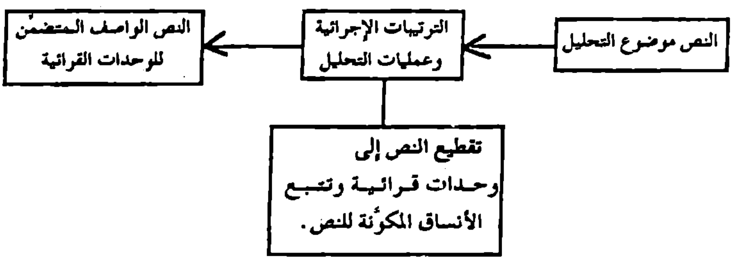
كذلك نشأت طريقة « تاريخ التأليف » ؛ أي محاولة البحث في تأليف النص ومؤلفه ؛ وكيف تكوّن النص في صورته الراهنة عبر مراحل تأليفه وتدوينة وذيوعه . وواضحٌ أن المنهج التاريخي كان دائماً هو السائد في جميع هذه المقاربات . ومن البديهي كذلك أن هذه المقاربات قد لقيت معارضة من الكنيسة تتراوح بين العنف والتحريم والإخمال والسجال النظري والصمت، حسب تقلّبات ميزان القوى .

وفي القرن العشرين بدأ تطبيق المناهج والنظريات الحديثة من مادية ماركسية وتحليل نفسي فرويدي وبنيوية وسيميائيات على نصوص التوراة والإنجيل، وقد طبقت على الخصوص نظريات السرد البنيوية والسيميائية على قصص التوراة والإنجيل .

وتندرج تحليلات **بارت** ضمن أول محاولة في هذا الاتجاه، فدراسته لنصٍّ من **أعمال الرسل** قد تمت سنة 1969 في نَدْوة **شانتيي**[3] التي ضمَّت باحثين من مختلف الاتجاهات .

ترتيبات التحليل وقراءة الأنساق

يمكن تلخيص عمل بارت التحليلي على النصوص في الترسيمة التالية :



3 ـ وقد نشرت أعمال هذه الندوة تحت عنوان :
Exégèse et Herméneutique, Paris, Seuil, 1971

كانت الأهداف الأساسية للتحليل البنيوي والسيميائي للنص هي بناء نظرية شاملة، أو لغة (بالمعنى الذي أعطاه **دي سوسير** لهذه الكلمة)، أو نحوٍ عامٍ، لذلك كانت النصوص المفردة العينية مجرد أمثلة أو «متن» يتأسس عليه، وانطلاقاً منه، التشييد النظري، اعتماداً على منهج افتراضي ـ استنباطي. أما التحليل العيني لنص مفرد فكان متروكاً لممارسات تحليلية تقليدية (شرح النصوص وتفسيرها وتأويلها، والنقد الأدبي بمختلف اتجاهاته ومستوياته. وفي الحالات النادرة التي انكبَّ فيها باحثون على تحليل نص واحد (مثلا **ياكبسون** وتحليله لقصيدة **القطط** لبودلير بالاشتراك مع **ليفي ستروس**، أو **غريماس** في تحليله لقصة من قصص **موپاسان**، أو تحليل جماعة **إنترڤرن** لنص من التوراة... إلخ)، فإن ذلك كان للتمثيل والبرهنة على صوابية النظرية و«قوّتها»، ولم تكن الغاية بالأساس فردية النص وخصوصيته التي تكمن ـ حسب أغلب الباحثين ـ في مستوى آخر غير مستوى النظرية. وبذلك تطرح دائماً المعضلة الإبستمولوجية للعلاقة بين العام (موضوع العلم) والخاص الفردي، بين النظري والتطبيقي. وإذا رغب المحلِّل في الاشتغال على نصّ مفرد، فإن هذا النص يواجهه باعتباره «كتلة» كما يقول **بارت**، ويبرز السؤال: من أين نبدأ؟ وتتجلى خيبة الأمل في أن تحليل النص يكون غالباً مجرد تطبيق آلي لمقولات نظرية عامة، تنطبق مبدئيا على جميع النصوص، أو على نمط من النصوص، وتتبيَّن للقارئ، غير المتحيِّز، الفجوة و«القفزة» غير المبرَّرة من نظرية عامة إلى نص بعينه في فرادته.

وإذا كانت قراءة تطبيقات **بارت**، التي ستلي، هي الملائمة

لاستيضاح معالجته لهذه القضايا، فإن من المفيد الإشارة - بإيجاز - إلى الترتيبات العملية الأساسية التي يقوم عليها التحليل النصي عنده بصرف النظر عن قيمته التحليلية ونتائجه المنهجية والنظرية التي لايتسعّ لها هذا التقديم :

1 - تقطيع النص إلى وحدات قرائية. متفاوتة الحجوم، ويشرح بارت في كتابه S/Z مبدأ هذه العملية :

إن النص « سيُقطَّع إلى سلسلة من شذرات قصيرة متجاورة، ستُسَمَّى هنا وحدات قرائية، لأنها وحدات القراءة. ولابد من القول إنَّ هذا التقطيع سيكون اعتباطياً تماماً، ولن يتضمن أي مسؤولية منهجية، لأنه سيتناول الدَّال، في حين أن التحليل المقترح سيتناول المدلول فحسب. وستشمل الوحدة القرائية تارة بضع كلمات وتارة أخرى بضع جُمَل، فهي مسألة تتعلق بتسهيل المعالجة : يكفي أن تكون الوحدة القرائية أفضل فضاء ممكن حيث يمكن معاينة المعاني؛ إن حجم تلك الوحدات، المتحدِّد تجريبياً وتخمينياً، سيكون تابعاً لكثافة الإيحاءات، التي تتفاوت بحسب لحظات النص : والمطلوب ببساطة هو أن لاتتضمن الوحدة، على الأكثر، سوى ثلاثة أو أربعة معانٍ يجري تعدادها »(4)

وكذلك تجري ملاحظة الارتباطات المتبادلة فيما بين الوحدات القرائية المختلفة، التي تكون قد رُقِّمت ترقيماً متسلسلاً، فيمكن للتحليل أن يتخذَّ كل الاتجاهات دون اهتمام بخَطِّية النص ولا بالسيرورة الزمنية المنطقية للسرد (مثلاً إن لغزاً يُطرح في بداية نصٍ لن يجد حلّه إلا بعد عشرات الوحدات القرائية). إنَّ فضاء النص

4) R.Barthes, S/Z, Paris, Seuil, 1970.

يجري تقسيمه إلى فضاءات صغيرة مُحَدَّدة يُلاحِظ فيها المحلِّل اشتغالَ المعاني وتفاعل الأنساق.

2 ـ النسق والإيحاء : يؤكد **بارت** باستمرار أن النص ليس له معنى وحيد أو معاني مترابطة منطقياً وسببياً تُفْضِي إلى معنى نهائي. والقراءة (أو التحليل) ليس استهلاكاً للنص، أي تلقياً سلبياً لمعنى موجود سلفاً ماعلى القارئ (أو المحلل)، إلا أن يتوصل إليه في «عمق» النص (إذا اتبع منهجاً تأويلياً) أو خارج النص (إذا اتبع منهجاً تحديدياً أو محاكاتياً). إن التحليل النصي ـ كما يمارسه **بارت** ـ يتناول نصاً واحداً؛ لكن لكي يُفجِّر هذه الوحدة والانغلاق والكثافة (ذات الطابع «اللاهوتي» كما يقول) للكشف عن اشتغال النص، وبَسْطِ أنه موقع لتفاعل الأنساق واشتغال إواليات الإيحاء؛ فالنص (أو بالأصح نسيج النص) يتشكل من تضافر وتشابك وانجدال عددٍ من الأنساق. وماهو النسق؟ إنه عموماً مجموع الإحالات والاقتباسات وقواعد «المقروئية» والبناء الرمزي و«المناخ» الإيديولوجي، التي تمنح النص مظهر «الانسجام و«الاتساق»، إنه منطلق بنيات أخرى ونصوص أخرى، أي أن النص ليس كياناً متفرداً مُبْتَكَراً لانظير له (حسب المفهوم الرومانسي المبتذل لما يسمى «الإبداع»)، بل إنه متشكل مما يُسَمِّيه **بارت** : «المَا سَلَف» : ما سلف قراءته وكتابته ومشاهدته، أي النصُّ المجتمعي والثقافي. ولاشك أن مفهوم «التناص» هنا يَتَّسِع اتساعاً هائلاً ليشمل «كينونة» النص ذاته. إذن لايبحث المحلِّل عن بنية النص (فالبنية لاتتجلى على صعيد نص فردي، بل على مستوى نظري، تجريدي، صوري)،

ولا عن معناه النهائي، أو « المدلول الأخير» كما يقول **بارت** (فهذا من شأن القراءات التأويلية) ؛ بل يبحث عن البَنْيَنَة، أي تلك الحركة الدَّائبة التي تُكَوِّن النص وتفتحه على تفاعل مستمرٍ مع النصوص الأخرى ومع الأنساق الثقافية. حركة النص هذه هي مايسمِّيه بارت « الدَّلالية » ؛ أي العملية الدائمة التي بمقتضاها يصبح النص فضاءً لتفاعل المعاني وتولُّدها المستمر اللامنتهي، والذي يحاول « المؤلِّف » في النصوص « المقروءة » أن يضع حدّاً لتلك « الدلالية » عن طريق قواعد المقروئية (مثلاً ضرورة أن يقرأ القارئ الحكاية أو النص السردي من البداية إلى النهاية حسب تسلسل زمني ـ منطقي، دون أن يكون النص قابلاً للمعكوسية، ولامُحَبِّذاً لتحطيم هذه القراءة الخطِّية).

فالأنساق هي ـ كما يبدو من تحليلات **بارت** ـ تجسيد لمفهوم عام مفاده أنَّ النصَّ الأدبي يقوم على الإيحاء، أي على معانٍ ثانية يكون معناها الأوَّل هو المعنى التَّعييني اللغوي الموجود في اللغة المتداولة ولغة المعاجم. فالكاتب لايستعمل في الحقيقة اللغة الأولى التعيينية، المتداولة في الخطاب الاعتيادي و« المحايد »، بل اللغة الثانية والمعاني الثانية التي لاتخضع لقواعد إنتاج وتلقِّي اللغة التعيينية والمعاني الأولى؛ ومن هنا ربما تأتي صعوبة تحليل لغة الأدب، واستعصاء النص الأدبي على كل النظريات التحليلية التي تجعل من اللسانيات « نموذجها الإبستمولوجي ».

3 ـ التحليل والتحديد : يميِّز **بارت** التحليل، أي العمليات الإجرائية التي تهدف إلى تبيان السيرورات الدلالية في النص، و« دلاليته » عن التحديد، أي المُحَدِّدات الخارجية للنص. فالتحليل النصي يرفض مبدئياً أيَّ توقف لاشتغال النص وتَوَالُد معانيه، أي كل

قرار نهائي بخصوص «مدلوله الأخير» أياً كانت طبيعة هذا «المدلول»، فهو مختلف عن التحديد أو وضع محدّدات خارجية لتعريف النص وتحديد هويته، كما هو الشأن في المنهج التاريخي أو المناهج الاجتماعية والنفسانية التي تجعل من النص فضاء لاكتشاف حقيقة تتجاوزه أو، على الأقل، تتجلّى فيه. غير أن **بارت** يؤكد أن التحليل النصي هو الذي يقدّم المادة الخام للمناهج النقدية المختلفة، التي تسلك - بطبيعة منهجها - سبيلاً واحداً من السُّبُل العديدة التي كشف عنها التحليل النصّي.

يتضّح إذن أن المحلِّل ينتج نصاً جديداً هو النص الواصف عبر عمليات التحليل وترتيباته التي أجراها على النص «الأصلي» موضوع التحليل. لكن هذا النص الواصف هو في الحقيقة - حسب **بارت** - النص الأصلي نفسه وقد تشظّى وانبذرت معانيه وتفاعلت أنساقه وتجلّت إيحاءاته وتشكّلت صورة حركته الداخلية. إنه النص «الأصلي» وقد تحرَّر من «قماطه» وقيوده - وتحرير النص هو تحرير للقارئ ذاته من «طفوليته» و«استهلاكيته»، و هيمنة ضغوط «المقروئية» عليه.

يقول بارت عن القارئ: «إن هذا "الأنا" الذي يقترب من النص هو نفسه سلفاً متشكِّل من تعدُّد نصوص أخرى، وأنساق لانهائية»، والقراءة ليست فعلا عَرَضياً "طفيلياً" على كتابة تمنحها كل امتيازات الإبداع والأولوية»،(5) القراءة هي أيضاً - هي أساساً - اشتغالٌ للمعنى وكتابةٌ وإنتاجٌ.

عبد الكبير الشرقاوي

---

5)S/Z, op.cit, p 16 - 17

مصادر النصوص المترجمة

- L'analyse structurale du récit. A propos d'Actes 10 - 11 in Exégèse et Herméneutique, Paris, Ed, du Seuil, 1971.

- La lutte avec l'ange : analyse textuelle de Génèse 31 - 23 - 33, in Analyse structurale et Exégèse biblique, Genève, Labor et Fides, 1972.

- Analyse textuelle d'un conte d'Edgar Poe- in sémiotique narrative et textuelle, Paris, Librairie Larousse, 1973.

◆◆◆

الفصل الأول

التحليل البنيوي للسرد

أعمال الرسل 10 ـ 11 :

بطرس وكورنيليوس

١٠ وكانَ في قيصريَّةَ رَجُلٌ اسْمُهُ
كُورنيليوسُ، ضابطٌ مِنَ الفرقَةِ الإيطاليَّةِ في
الجَيشِ.٢ كانَ تَقيّاً يَخافُ اللَّهَ هوَ وجميعُ أهلِ
بَيتِهِ، ويُحسِنُ إلى الشَّعبِ بِسَخاءٍ، ويُداوِمُ
على الصَّلاةِ للّه.٣ فرأى نحوَ السّاعَةِ الثالثَةِ منَ
النَّهارِ في رُؤيا واضِحَةٍ مَلاكَ اللّهِ يدخُلُ عليهِ
ويُناديهِ : «يا كُورنيليوسُ!» ٤فنظَرَ إليهِ في
خَوفٍ وقالَ : «ما الخبَرُ، يا سيِّدي؟» فقالَ لهُ
المَلاكُ : «صَعِدَتْ صَلَواتُكَ وأعمالُكَ الخَيريَّةُ
إلى اللّهِ، فَتذكَّرَكَ. ٥فأرسِلِ الآنَ رجالاً إلى يافا
وَجِئْ بِسمعانَ الذي يُقالُ لهُ بُطرسُ. ٦فهوَ
نازِلٌ عِندَ دَبّاغٍ اسمُهُ سمعانُ وبيتُهُ على شاطئِ
البحرِ». ٧فلمّا انصَرَفَ المَلاكُ الذي كانَ
يُكلِّمُهُ، دعَا اثنَينِ مِنْ خَدَمِهِ وجُنديّاً تَقيّاً مِنْ
اخصّائِهِ، ٨وأخبرَهُم بِكُلِّ ما جَرى، وأرسَلَهُم
إلى يافا.
٩فساروا في الغَدِ. وبَينَما هُم يَقترِبونَ مِنْ
يافا، صَعِدَ بُطرُسُ إلى السَّطحِ نحوَ الظُّهرِ
ليُصلّيَ، ١٠فجاعَ وأرادَ أنْ يأكُلَ. ولما أخذوا
يُهيِّئونَ لهُ الطَّعامَ وقَعَ في غَيبوبةٍ، ١١فرأى
السَّماءَ مَفتوحَةً، وشيئاً يُشبهُ قِطعةَ قماشٍ كبيرةً
مَعقودةً بأطرافِها الأربعةِ تَتَدلّى على الأرضِ.
١٢وكانَ عليها مِنْ جميعِ دَوابِّ الأرضِ
وزحافاتِها وطُيورِ السَّماءِ. ١٣وجاءَهُ صَوتٌ يقولُ
لهُ : «يا بُطرُسُ، قُمْ اذبَحْ وكُلْ». ١٤فقالَ
بُطرُسُ : «لا يا ربُّ! ما أكَلتُ في حياتي

---

١٠ ـ ١ : ضابط حرفيا : قائد مئة.
رج مر ١٠ : ٣٩ ح الفرقة : رج مر ١٠ : ١٦ ح.
٢ : أهل بيته حرفيا : بيته. تعني الكلمة العائلة
والخدم.

نَجِساً* أو دَنِساً». ١٥فقالَ لَه الصوتُ ثانيَةً :
«ما طَهَّرهُ اللهُ لا تَعتَبِرْهُ انتَ نَجِساً!»
١٦وحدَثَ هذا ثلاثَ مرّاتٍ، ثُمَّ ارتفعَ الشيءُ
في الحالِ إلى السَّماءِ.
١٧وبَينَما بُطرُسُ في حَيرةٍ يُسائِلُ نَفسَهُ ما
مَعنى هذه الرُّؤيا التي رآها، كانَ الرِّجالُ الذينَ
أرسَلَهُم كُورنيليوسُ سألوا عَنْ بَيتِ سِمعانَ
ووَقَفوا بالبابِ ١٨ونادَوا مُستَخبِرينَ : «هَلْ
سِمعانُ الذي يُقالُ لَه بُطرُسُ نازِلٌ هُنا؟»
١٩كانَ بُطرُسُ لا يَزالُ يُفكِّرُ في الرُّؤيا، فقالَ لَه
الرُّوحُ : «هُنا ثلاثةُ رِجالٍ يَطلُبونَكَ، ٢٠فقُمْ
وانزِلْ إلَيهِم واذهَبْ مَعَهُم ولا تَخَفْ، لأنّي أنا
أرسَلْتُهُم». ٢١فنَزَلَ بُطرُسُ وقالَ لهُم : «أنا هوَ
الذي تطلُبونَهُ. لماذا جِئتُم؟» ٢٢أجابوا :
«أرسَلَنا الضّابطُ كُورنيليوسُ، وهوَ رجُلٌ صالحٌ
يَخافُ اللهَ ويَشهَدُ على فَضلِه جميعُ اليَهودِ، لأنَّ
مَلاكاً طاهِراً ابلَغَهُ أنْ يَجيءَ بكَ إلى بَيتِه لِيَسمَعَ
ما عِندَكَ مِنْ كلامٍ». ٢٣فدَعاهُمْ بُطرُسُ
وأنزَلَهُم عِندَهُ.
وفي الغدِ، قامَ وذهَبَ مَعهُم يُرافِقُهُ بَعضُ
الإخوةِ مِنْ يافا، ٢٤فوصَلَ إلى قَيصَريَّةَ في اليومِ
التالي. وكانَ كُورنيليوسُ يَنتَظِرُهُم معَ الذينَ
دَعاهُم مِنْ انسبائِه وأخَصِّ اصدقائِه. ٢٥فلمَّا
دخَلَ بُطرُسُ، استَقبَلَهُ كُورنيليوسُ وارتَمى
ساجِداً لَه. ٢٦فأنهَضَهُ بُطرُسُ وقالَ لَه : «قُمْ،
ما أنا إلاَّ بَشَرٌ مِثلُكَ!» ٢٧ودخَلَ وهوَ يُحادِثُهُ،
فوَجَدَ جَمعاً كَبيراً مِنَ النّاسِ ٢٨فقالَ لهُم :
«تَعرِفونَ أنَّ اليَهوديَّ لا يَحِلُّ لَه أنْ يُخالِطَ
اجنَبيّاً، أو يَدخُلَ بَيتَهُ. لكنَّ اللهَ اراني أنْ لا
احسُبَ أحداً مِنَ النّاسِ نَجِساً أو دَنِساً. ٢٩فلمَّا
دعَوتُموني جِئتُ مِنْ غَيرِ اعتِراضٍ. فأسألُكُم :
لماذا دَعَوتُموني؟»
٣٠فقالَ كُورنيليوسُ : «كُنتُ مِنْ اربعة ايامٍ
أُصَلِّي* في بَيتي عِندَ السّاعَةِ الثالثَةِ بَعدَ الظُّهرِ،
فرَأيتُ رَجُلاً علَيه ثيابٌ بَرّاقةٌ يَقِفُ امامي
٣١ويَقولُ لي : «يا كُورنيليوسُ! سَمِعَ اللهُ
صَلواتِكَ وذَكَرَ أعمالَكَ الخَيريَّةَ، ٣٢فأرسِلْ إلى
يافا، واستَدْعِ سِمعانَ الذي يُقالُ لَه بُطرُسُ،
فهوَ نازِلٌ في بَيتِ سِمعانَ الدَّبّاغِ على شاطئِ
البحرِ». ٣٣فأرسَلْتُ إلَيكَ في الحالِ، وأنتَ
احسَنْتَ في مَجيئِكَ. ونَحنُ الآنَ جَميعاً في
حَضرَةِ اللهِ لِنَسمَعَ كُلَّ ما أمَرَكَ بهِ الرَّبُّ».

عظة بطرس

٣٤فقالَ بُطرُسُ : «أرى أنَّ اللهَ في الحَقيقةِ
لا يُفضِّلُ احداً على احدٍ، ٣٥فمَنْ خافَهُ مِنْ
أيَّةِ أُمَّةٍ كانَت وعَمِلَ الخيرَ كانَ مَقبولاً عِندَهُ.
٣٦أرسَلَ كَلِمَتَهُ إلى بَني إسرائيلَ يُعلِنُ بِشارةَ
السَّلامِ بِيَسوعَ المَسيحِ الذي هوَ رَبُّ
العالَمينَ ؛ ٣٧وأنتُم تَعرِفونَ ما جرى في اليَهوديَّةِ
كُلِّها، ابتداءً مِنَ الجَليلِ بَعدَ المَعموديَّةِ التي
دعا إلَيها يوحنّا، ٣٨وكيفَ مَسَحَ اللهُ يَسوعَ
النّاصِريَّ بالرُّوحِ القُدُسِ والقُدرَةِ. فسارَ في
كُلِّ مكانٍ يَعمَلُ الخَيرَ ويَشفي جميعَ الذينَ
استَولى علَيهِم إبليسُ، لأنَّ اللهَ كانَ مَعَهُ.
٣٩ونَحنُ شُهودٌ على كُلِّ ما عَمِلَ مِنَ الخَيرِ في
بلادِ اليَهودِ وفي أُورُشليمَ. وهوَ الذي صَلَبوهُ

---

١٤ : نجسا : رج لا ١١ : ١ - ٤٧ ؛ حز ٤ : ١٤.
١٥ : ق مت ٧ : ١٥، ١٩.

٣٠ أصلي في بعض المخطوطات : أصلي وأصوم.
الثالثة بعد الظهر حرفيا : التاسعة.

وقَتَلوهُ. ٤٠ولكنَّ اللّهَ اقامَهُ في اليومِ الثالث
واعطاهُ انْ يَظهَرَ، ٤١لا للشعبِ كُلِّه، بل
للشُهودِ الذينَ اختارَهُمُ اللّهُ منْ قَبلُ، اي لنا
نَحنُ الذينَ اكلوا وشَربوا معَهُ بَعدَ قيامَته منْ بَين
الأموات*. ٤٢واوصانا انْ نُبَشِّرَ الشَّعبَ ونَشْهَدَ
انَّ اللّهَ جَعَلَهُ دَيّاناً للاحياء والأموات. ٤٣ولَه
يَشهَدُ جميعُ الانبياء بأنَّ كُلَّ مَنْ آمنَ به يَنالُ
باسمه غُفرانَ الخَطايا*.

حلول الروح القدس على غير اليهود

٤٤وبَينَما بُطرُسُ يَتَكَلَّمُ، نَزَلَ الرُّوحُ
القُدُسُ على جميع الذينَ يَسمَعونَ كلامَهُ.
٤٥فتَعَجَّبَ أهلُ الختانِ الذينَ رافَقوا بُطرُسَ
حينَ رأوا انَّ اللّهَ افاضَ هِبةَ الرُّوحِ القُدُسِ على
غَيرِ اليَهودِ ايضاً، ٤٦لأنَّهُم سَمعوهُم يتكلَّمونَ
بلُغاتٍ غَيرِ لُغَتِهم ويُعَظِّمونَ اللّهَ. فقالَ بُطرُسُ :
٤٧هؤلاءِ النّاسُ نالوا الرُّوحَ القُدُسَ مثلَنا نَحنُ،
فمَنْ يُمكِنُهُ انْ يَمنَعَ عَنهُم ماءَ المَعموديَّة؟ ٤٨وأمَرَهُم بأنْ يتَعَمَّدوا باسمِ يَسوعَ المَسيحِ.
فدَعَوْهُ إلى انْ يُقيمَ عِندَهُم بِضعةَ ايامٍ.

١١ وسَمِعَ الرُّسُلُ والإخوَةُ في اليَهوديَّة انَّ
غَيرَ اليَهودِ ايضاً قَبِلوا كلامَ اللّه. ٢فلمّا صَعِدَ
بُطرُسُ إلى أورُشليمَ. خاصَمَهُ أهلُ الخِتانِ*
وقالُوا لَه : ٣دَخَلْتَ إلى قَومٍ غَيرِ مَختونينَ
وأكَلتَ مَعَهُم!* ٤فرَوى لهُم بُطرُسُ كُلَّ ما
جَرى لَه، قالَ : ٥كُنتُ أُصَلّي في مدينة يافا
فرَأيتُ في الغَيبوبَةِ رُؤيا. فإذا شيءٌ مِثلُ قطعَةِ
قماشٍ كبيرةٍ مَعقودةٍ بأطرافِها الأربعة يَتَدلّى منَ
السَّماء حتى وصَلَ إليَّ. ٦ونَظَرتُ إلَيه جيِّداً،
فرأَيتُ علَيه دَوابَّ الأرضِ والوحوشَ والزَّحافات
وطُيورَ السَّماء، ٧وسَمعتُ صَوتاً يَقولُ لي : يا
بُطرُسُ، قُم اذبَحْ وكُلْ! ٨فَقلتُ : لا، يا
ربُّ! ما دخَلَ فَمي طَعامٌ نَجِسٌ أو دَنِسٌ منْ
قَبلُ! ٩فاجابَني الصوتُ ثانيَةً منَ السَّماء : ما
طَهَّرَهُ اللّهُ لا تَعتَبِرْهُ انتَ نَجساً. ١٠وحدَثَ هذا
ثلاثَ مَرّات، ثُمَّ ارتَفَعَ الشَّيءُ كُلُّهُ إلى السَّماء.
١١وفي تلكَ السّاعة وقَفَ ثلاثَةُ رجالٍ بباب
البَيت الذي كُنتُ فيه*، وكانوا مُرسَلينَ إليَّ منْ
قيصريَّةَ. ١٢فامرَني الرُّوحُ انْ اذهَبَ مَعَهُم منْ
دون تردُّدٍ. فَرافَقَني هؤلاء الإخوَةُ السِّتَّةُ إلى
قيصريّةَ، فدَخَلنا بَيتَ كُورنيليوسَ، ١٣فاخبرَنا
كيفَ رأى الملاكَ يَقِفُ في بَيته ويَقولُ له : أرسِلْ
إلى يافا، وجئْ بسمعانَ الذي يُقالُ لَه بُطرُسُ،
١٤فهوَ يُكلِّمُكَ كلاماً تَخلُصُ به انتَ وجميعُ
اهلِ بَيتِكَ. ١٥فلمّا بدأتُ اتكلَّمُ نزَلَ الرُّوحُ
القُدُسُ علَيهِم مثلَما نزَلَ علَينا نَحنُ في البَدء.
١٦فتذَكَّرتُ ما قالَ الرَّبُّ : عَمَّدَ يوحنّا بالماء،
وأمّا انتُم فَتَتَعَمَّدونَ بالرُّوحِ القُدُسِ*. ١٧فإذا
كانَ اللّهُ وهَبَ هؤلاء ما وهَبَنا نَحنُ عندَما آمَنّا
بالرَّبِّ يَسوعَ المَسيحِ، فمَنْ اكونُ انا لأُقاوِمَ
اللّهَ؟ ١٨

---

٤١ : رج لو ٢٤ : ٣٠، ٤٢، اع ١ : ٤
٤٢ : رج اش ٥٣ : ٥ - ٦ ؛ لو ٢٤ : ٤٧ باسمه : رج ٢ : ٣٨ ح.
١١ ٢ : أهل الختان : مسيحيون من أصل يهودي يؤلفون كنيسة أورشليم.
٣ : رج ١٠ : ٢٨
١١ : الذي كنت فيه : في بعض المخطوطات : كنا فيه.

١١ : الذي كنت فيه : في بعض المخطوطات : كنا فيه

١٨فلمّا سَمِعَ الحاضِرونَ هذا الكلامَ، هَدَأوا ومَجَّدوا اللّهَ وقالوا : «أنعَمَ اللّهُ، إذاً، على غَيرِ اليَهودِ أيضا بالتّوبَةِ سَبيلا إلى الحَياة!»

ملحوظة : جميع نصوص التوراة والإنجيل (أو العهدين القديم والجديد) الواردة في هذا الكتاب مستقاة من الترجمة العربية التالية :
الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس في لبنان، الطبعة الأولى، 1993

❖❖❖

مهمتي هي عرض مايُسمى الآن عموماً التحليل البنيوي للسرد. لابد من الاعتراف بأنَّ الاسم يسبق مُسَمَّاه. وما يمكن في الوقت الراهن تسميته بهذه التسمية، هو سلفاً مجموعة بحث، وليس بَعْدُ علماً، ولاحتَّى فرعاً للمعرفة بالمعنى الدقيق؛ لأن فرعاً من فروع المعرفة يقتضي تعليماً للتحليل البنيوي للسرد، وذلك ما لم يتحقق بعد. فلابد إذن أن تكون الكلمة الأولى في هذا العرض تنبيهاً : لايوجد حتى الآن علم السرد (حتى لو أعطينا لكلمة «علم» معنى واسعاً جداً)، لاتوجد «ديجتولوجيا». (١) أرغب في هذا التوضيح وأحاول بذلك تلافي بعض خيبات الأمل.

منشأ التحليل البنيوي للسرد

هذا المنشأ، إنْ لم يكن غامضاً، فهو على أي حال «حُرٌّ» في تحديده. فيمكن اعتباره ضارباً جداً في الزمن إذا ارتقينا بالعقلية التي توجِّه تحليل السرد وتحليل النصوص إلى فن الشعر والخطابة الأرسطيين؛ ويمكن اعتباره أقلَّ إيغالاً في الزمن، لو أحلنا على أخلاف أرسطو الكلاسيكيين، وعلى مُنَظري الأجناس الأدبية؛ وأكثر قرباً، بل قريباً جداً، لكن بوضوح أكبر، لو فكَّرنا أنه يرقى، في شكله الحالي،

إلى أعمال من يُسَمَّون بالشكلانيين الروس الذين ترجم **تزفيتان تودوروف** أعمالهم جزئياً إلى الفرنسية [2]. هذه الشكلانية الروسية (وهذا التنوع يهمنا) كانت تضمُّ شعراء، ونقاد أدب، ولسانيين، وعلماء فولكلور، اشتغلوا، حوالي سنوات 1920 ـ 1925، على أشكال العمل الأدبي؛ وقد شتَّتت الستالينية الثقافية هذه المجموعة، فانتشرت في الخارج، خصوصا بواسطة جماعة **براغ** اللسانية. إن روح مجموعة البحث الشكلانية الروسية هذه قد دخلت أساساً في أعمال عالم اللسانيات **رومان ياكبسون**.

منهجياً (وليس تاريخياً)، يكون منشأ التحليل البنيوي للسرد، هو بالطبع، التطور الأخير للسانيات المسمَّاة باللسانيات البنيوية. لقد حصل، انطلاقا من هذه اللسانيات، امتداد «پويطيقي» بواسطة أعمال **ياكبسون** نحو دراسة الخطاب الشعري أو الخطاب الأدبي؛ وحصل امتداد أنثروبولوجي، من خلال دراسات **ليڤي ـ ستروس** عن الأساطير والطريقة التي استأنف بها أبحاث أحد أكثر الشكلانيين الروس أهمية بالنسبة لدراسة السرد، أي **ڤلاديمير پروپ**، عالم الفولكلور. وفي الوقت الراهن، فالبحث في هذا المجال يتم في فرنسا أساساً (وأتمنى أن لا أغمط أحداً حقّه) داخل مركز الدراسات حول أشكال التواصل الجماهيرية، بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وداخل المجموعة السيميو ـ لسانية لصديقي وزميلي **غريماس**. وقد بدأ هذا النمط من التحليل ينفذ إلى التعليم الجامعي، بجامعة ڤانسين على الخصوص، وفي الخارج يشتغل باحثون منعزلون في هذا الاتجاه، أساساً في روسيا، والولايات المتحدة، وألمانيا. وأشير إلى بعض

محاولات التنسيق بين هذه الأبحاث : بفرنسا صدور مجلة عن **البويطيقا** (بالمعنى الياكبسوني للكلمة طبعاً) يديرها **تزفيتان تودوروف وجيرارجينيت**؛ وبإيطاليا، مناظرة سنوية حول تحليل السرد تُنَظَّم بمدينة **أوربينو**؛ وأخيراً جمعية دولية للسيميولوجيا (أي علم الدلالات) قد جرى تأسيسها على نطاق واسع؛ ولديها الآن مجلتها المسماة **Semiotica**، حيث غالباً مايكون موضوع البحث هو تحليل السرد.

لكن هذا البحث يتعرض حالياً لنوع من التشتُّت، وهذا التشتت هو بمعنى ما مقوِّم من مقوِّمات هذا البحث ـ وعلى أيٍّ حال هكذا أنظر إليه. أوَّلاً، يظلُّ هذا البحث فرديا، لابدافعٍ من فردانية، بل لأنه عمل دقيق : إن الاشتغال على معنى أو معاني النص (لأنَّ هذا هو التحليل البنيوي للسرد) لا يمكن أن ينفصل عن منطلق فينومنولوجي (ظاهراتي)، فلا توجد آلة لقراءة المعنى؛ حقاً توجد آلات للترجمة تحتوي الآن وستحتوي حتماً على آلات للقراءة؛ لكن آلات القراءة هذه، إذا استطاعت تحويل معانٍ تعيينية، معانٍ حرفية، فلا تأثير لها على المعاني الثانية، على المستوى الإيحائي، وعلى تداعي المعاني في النص؛ لابد أن توجد دائماً في البداية عملية للقراءة تكون فردية، ومفهوم «فريق من الباحثين» في هذا المستوى سيظل، فيما أعتقد، وهمياً جداً؛ فليس بالإمكان معالجة التحليل البنيوي للسرد، باعتباره فرعاً من المعرفة، مثل معالجة البيولوجيا ولا حتى علم الاجتماع : فلا إمكان لوجود عرض ذي قواعد تشكّل نظاماً، وليس بإمكان باحث أن يتحدث باسم باحث آخر. ومن جهة أخرى، فهذا البحث الفردي، على

مستوى كل باحث، هو في حالة صيرورة، فلكل باحث تاريخه الخاص؛ وقد يلحق التغيير ذلك البحث، لاسيما وأن تاريخ البنيوية المحيطة به تاريخ متسارع : المفاهيم تتبدل سريعاً، والخلافات تتصلّب سريعاً، وما أسرع ماتصير الجدالات شديدة جداً، وكل هذا يؤثّر طبعاً على البحث.

أخيراً، أسمح لنفسي بأن أقول هذا لأنه رأيي الحقيقي : لما كان الأمر يتعلق بدراسة لغة ثقافية، وأعني لغة السرد، فالتحليل يكون متأثّراً مباشرة (وعليه أن يتفطّن لهذه المسألة) بمنطوياته الإيديولوجية .إن مايُعتبر حالياً أنه «هو» البنيوية مفهوم في الحقيقة سوسيولوجي جداً ومصنوع جداً، بالقدر الذي يرى فيها البعض مدرسة موحّدة. وليس الأمر كذلك على الإطلاق. فعلى صعيد البنيوية الفرنسية، على أي حال، توجد خلافات إيديولوجية عميقة بين مختلف ممثّليها، الذين يُوضعون بأجمعهم في سلّة بنيوية واحدة، مثلاً بين **ليڤي ستروس، وديريدا، ولاكان، وألتوسير**؛ فتوجد بالنتيجة انقسامية بنيوية، وإذا كان من اللازم موقعتها (وهذا ليس من غرضي هنا)، فإنها ستتبلور، فيما أعتقد، حول مفهوم «العلم».

أقول هذا لأتلافى، قدر الإمكان، خيبة الأمل وحتى لا أحرِّض على تعليق آمال مفرطة في منهج علمي لايكاد يكون منهجاً ؛ وليس بالقطع علما .وأريد، قبل أن أنتقل إلى نصِّ **أعمال الرسل** الذي يهمنا، تقديم ثلاثة مبادئ عامة من الممكن، فيما أعتقد، أن يعترف بها جميع أولئك المشتغلين حالياً بالتحليل البنيوي للسرد. وسأضيف إليها بعض الملاحظات بخصوص ترتيبات التحليل الإجرائية.

1 ـ مبادئ عامة وترتيبات التحليل

1.1 ـ مبدأ الصّوْرَنَة

هذا المبدأ، الذي يمكن تسميته أيضاً مبدأ التجريد، مشتق من التعارض السُّوسيري بين اللغة والكلام. إننا نعتبر كلَّ محكيٍّ (لنذكِّر بأن عدد المحكيات التي أنتجها الإنسان في العالم وفي تاريخ العالم، وتاريخ شعوب الأرض قاطبة لاحصر له) في هذه الكتلة المتنافرة ظاهرياً من المحكيات هو الكلام بالمعنى السُّوسيري، أي رسالة واحدة من لغة عامة للسرد. ولغة السرد هذه من الممكن تَبَيُّنها فيما وراء اللغة بحصر المعنى، أي تلك التي يدرسها اللسانيون. إن لسانيات اللغات الوطنية (أي التي تُكتب بها المحكيات) تتوقَّف عند حدود الجملة، من حيث هي الوحدة الأخيرة التي يمكن لعالم اللسانيات أن يباشرها. وفيما وراء الجملة، لاتعود البنية تابعة للسانيات، بل للسانيات ثانية، عَبْر-لسانية، هي موقع تحليل السرد: بعد الجملة، هناك حيث تتضامُّ عدة جمل. ماذا يحدث حينئذ؟ لايُعلم ذلك بَعْدُ؛ وقد انقضى زمن طويل جداً كان يُظَنُّ فيه العلمُ بذلك، وكانت البلاغة الأرسطية أو الشيشرونية هي التي تخبرنا عن الموضوع؛ لكن مفاهيم هذه البلاغة صارت متجاوزة، لأنها كانت بخاصة مفاهيم معيارية؛ بيد أن البلاغة الكلاسيكية، رغم تقادمها، لم يتم تعويضها. حتى اللسانيون أنفسهم لايجازفون بذلك؛ وقد قدم بنفنيست بعض الملاحظات، الثاقبة كما هو الحال دائماً، حول هذا الموضوع؛ هناك أيضاً أمريكيون يهتمون بتحليل الخطاب

Speech-analysis ؛ لكن هذه اللسانيات ماتزال في حاجة إلى بناء وتحليل. إنّ السرد، و لغة السرد، هما افتراضياً على أيٍّ حال، جزء من هذه اللسانيات الثانية المُقْبلة.

إن الانعكاس العملي لمبدأالتجريد هذا، الذي نحاول باسمه إقامة لغة السرد، هو أنه ليس من الممكن ولا من المرغوب فيه تحليل نص واحد في ذاته. لابد لي من قول هذا لأنني سأحدِّثكم عن نص واحد؛ وهذا يضايقني لأنَّ موقف المحلل الكلاسيكي للسرد ليس الاهتمام بنص منعزل؛ ويوجد حول هذه النقطة اختلاف أساسي بين التحليل البنيوي للسرد ومايسمى تقليديا شرح النصوص. إن النص عندنا هو كلام يُحيل على لغة، ورسالة تحيل على نسق، وإنجاز يحيل على كفاية - وجميع هذه من ألفاظ اللسانيين -. إن التحليل البنيوي للسرد هو في أساسه وتكوينه تحليل مقارن : إنه يبحث عن أشكال، لا عن مضمون. حينما سأتحدث عن نص **أعمال الرسل**، لن يكون ذلك لشرح هذا النص، بل لمواجهة ذلك النص مثل باحث يجمع مواداً لتشييد قواعد نحوية ؛ ولهذه الغاية، يكون عالم اللسانيات مضطراً لجَمْع جُمَلٍ، مَتْنٍ من الجمل. ولتحليل السرد المهمة ذاتها، فعليه أن يجمع محكيات، متناً من المحكيات، ويحاول أن يستنبط منها بِنْيَة.

2.1 - مبدأ الملاءمة

يتأصَّل هذا المبدأ الثاني في الفونولوجيا. إن الفونولوجيا، في مقابل علم الأصوات (الفونطيقا)، لاتدرس الصفة الذاتية لكل صوت منطوق في لغة من اللغات، ولا الصفة الفيزيائية والسمعية للصوت، بل إثبات الفروق بين

الأصوات في اللغة، بالقدر الذي تحيل فيه فروق الأصوات هذه على فروق في المعنى، وفقط بهذا القدر: ذلك هو مبدأ الملاءمة؛ يتمُّ البحث عن فروق في الشكل تشهد عليها فروق في المضمون؛ وهذه الفروق هي سمات ملائمة أو غير ملائمة. وهنا أودُّ أن أقترح تدقيقاً، ومثالاً، ومايشبه التنبيه.

تدقيق أولاً حول كلمة معنى : لانبحث في تحليل السرد عن مدلولات قد أسميها تامة، أي مدلولات معجمية، ومعاني حسب المفهوم الشائع للكلمة. إننا نسمِّي «معنى» كلَّ نمط من الارتباط المتبادل داخل النص أو خارجه، أي كل سمة في المحكي تحيل على لحظة أخرى في المحكي أو على موقع آخر في الثقافة ضروري لقراءة المحكي : كل أنماط الأَنْفَرة والكَتْفَرة[3]، وباختصار «العائدية» (إذا سُمح لي بهذه الكلمة)، وكل الصِّلات، و كل الترابطات المتبادلة المُرَكَّبية والاستبدالية، وكل وقائع الدلالة وأيضاً وقائع التوزيع. وأُكَرِّر أنَّ المعنى ليس مدلولاً تاماً، كما قد أجده في المعجم، ولو كان معجم السرد ؛ إنه أساساً ترابط متبادل، أو عنصر ترابط متبادل، أي تعالق أو إيحاء. إن المعنى بالنسبة إليَّ (هكذا أحياه في البحث) هو أساساً اقتباس، إنه منطلق نسق، ومايتيح لنا الانطلاق نحو نسق ومايستلزم نسقا، حتى لو كان ذلك النسق (ولي عودة إلى هذا) لم يتم تشكيله بعد أو كان غير قابل للتشكيل.

وبعد هذا مثال : بالنسبة للتحليل البنيوي للسرد ؛ وعلى أي حال بالنسبة لي (لكن في هذا مجال للنقاش)، فإن مشاكل الترجمة ليست ملائمة في كل الأحوال. وهكذا فإن مشاكل الترجمة، في

حالة سرد رؤيا كورنيليوس وبطرس، لاتعني التحليل إلاّ في حدود معيَّنة : يكون ذلك فقط إذا كانت الاختلافات في الترجمة تنطوي على تغيير بنيوي، أي تحوير مجموعة من الوظائف أو تحوير متوالية. أود تقديم مثال، قد يكون شديد التبسيط : لنأخذ ترجمتين (فرنسيتين) لنص **أعمال الرسل** الذي نشتغل عليه. أدين بالترجمة الأولى للمساهمة الثمينة **لإدغار هولوت** الذي أعدّ ترجمة للنسخة المسكونية **للكتاب المقدس** (4) :

«وكان في تقواه [أي كورنيليوس] وخوفه من الله اللذين يشاركه فيهما جميع أهل بيته، يُحسن إلى الشعب اليهودي، ويدعو الله دائماً» (أعمال الرسل، 10، 2).

وقد كنت بدأت في الاشتغال على هذا النص (دون أن أطرح على نفسي أيَّ مشكلة من مشاكل الترجمة) حسب النسخة القديمة، الجميلة جداً فضلاً عن ذلك، **للميتردي ساسي** (القرن السابع عشر)، وفيها نجد النص كالآتي :

«كان متديِّناً يخاف الله هو وجميع أهله، وكان يتصدَّق كثيراً على الشعب، ويصلي إلى الله دون انقطاع».

يمكن القول إنَّه لاتكاد توجد إلا بعض الكلمات المشتركة ؛ وأن البنيات التركيبية مختلفة تماماً من ترجمة لأخرى. لكن في حالتنا هذه، لايؤثر ذلك في شيء على توزيع الأنساق والوظائف، لأن المعنى البنيوي للمقطع هو نفسه في الترجمتين معاً. إنه مدلول من نمط نفسي، أو طبعي، أو بتدقيق أكبر إنجيلي دون شك، لأنَّ الإنجيل يعالج على الخصوص نموذجاً نسقياً تماماً، وهو تعارض بين أطراف ثلاثة :

أهل الختان/غير المختونين/الذين «يخافون الله»؛ وهؤلاء الأخيرون يشكّلون الصنف الثالث، وهو صنف محايد (إذا ما أُجيز لي هذا المصطلح اللساني)، ويقع بالتحديد في المركز من نصِّنا؛ فالنموذج هو الملائم، لا الجمل التي يكتسي بها.

وبالمقابل، لو قارنًّا في نقط أخرى ترجمة الأب **هولوت** وترجمة **لوميتر دي ساسي**، فستظهر اختلافات بنيوية : عند **هولوت**، لايقول الملاك ما يجب على **كورنيليوس** أن يطلبه من **بطرس** بعد إحضاره ؛ وعند ساسي : «سيقول لك الملاك ما يجب عليك أن تفعله» (الآية 6) : نقص من جانب وحضور من جانب آخر (أيضاً الآيتان 22 و33). إنني أُلِحُّ على مسألة أن الاختلاف بين الروايتين ذو قيمة بنيوية، لأن متوالية أمر الملاك قد طرأ عليها تعديل : فمضمون أمر الملاك مُحَدَّد في نسخة **ساسي**، وهناك مايشبه خلق انسجام بين ماقد أعلن عنه (مهمة بطرس، وهي مهمة قَوْل) وبين ماسيحدث : سيأتي بطرس بقَوْل؛ لا أعرف منشأ هذه الرواية ولا يهمني ذلك ؛ ماأراه هو أنَّ رواية **ساسي** تعقلن بنية الخطاب، في حين أنَّ أمر الملاك في الرواية الأخرى لما لم يكن مُوَضَّحاً، فإنه يبقى فارغاً، وبذلك يزيد من تأكيد طاعة **كورنيليوس**، الذي يبعث في طلب **بطرس** تقريباً بطريقة عمياء ودون أن يعرف لماذا يفعل ذلك؛ فالنقص في رواية هولوت يشتغل كَسِمَةٍ تُحْدِث إثارة وتشويقاً، وتقوّي وتؤكّد إثارة وتشويق المحكي. وتلك ليست حال رواية **ساسي**، الأقلّ سردية، والأقلّ درامية، والأكثر عقلنة.

أخيراً، احتراز وتنبيه : يجب الارتياب في طبيعية مايُدَوِّنه النص.

لما نحلِّل يجب علينا في كل لحظة أن نقاوم، فيما هو مكتوب، انطباع البداهة و« هكذا تجري الأمور » . إن كل ملفوظ، مهما بدا تافهاً وعادياً، يجب تقويمه بمصطلحات البنية عن طريق اختبار ذهني في الإبدال . يجب دائماً أمام ملفوظ، أمام شطر من جملة، التفكير في ما كان سيحدث لو لم تُدَوَّن السِّمة أوكانت مختلفة . إن المحلِّل الجيِّد للسرد يجب أن يتوافر على ما يشبه خيال النصّ المُضَادّ، خيال شذوذ النص، وما هو فضائحي سردياً، لابد من تقبُّل مفهوم « الفضيحة » المنطقية، والسردية ؛ وبذلك تُكتسب شجاعة أكثر لتحمُّل الطابع المبتذل جداً، والمرتبك والبديهي الذي كثيراً ما يتَّصف به التحليل.

3.1 ـ مبدأ التعدُّدية

إن التحليل البنيوي للسرد (على الأقلِّ كما أتصوره) لا يحاول إثبات المعنى « الواحد والوحيد » للنص، بل لا يحاول حتى إثبات « أحد » معاني النص ؛ إنه يختلف أساساً عن التحليل الفيلولوجي،[5] لأن التحليل البنيوي يهدف إلى رسم ماقد أسمِّيه بالموقع الهندسي، موقع المعاني، موقع ممكنات النص. فكما أن لغة من اللغات هي ممكن الأقوال (اللغة هي الموقع الممكن لعدد مُعَيَّن من الأقوال، لانهائي في حقيقة الأمر)، فما يرغب المحلِّل إثباته حين يبحث عن لغة السرد، هو موقع إمكان المعاني، أو أيضاً تعدُّد المعنى أو المعنى باعتباره متعدِّداً. ولَمَّا يُقال إن التحليل يبحث عن المعنى أو يُعَرِّفه باعتباره أحد الممكنات، فذلك لايعني سلوكاً أو اختياراً من نمط ليبرالي ؛ فليس الأمر، على أيٍّ حال بالنسبة لي، تحديداً ليبرالياً لشروط إمكان

الحقيقة، وليس الأمر لا أَدْرِيَة فيلولوجية؛ لاأعتبر إمكان المعنى نوعاً من شرط مسبق متسامح وليبرالي لمعنى يقيني ؛ إن المعنى، بالنسبة لي، ليس إمكانا، وليس أحد الممكنات، إنّه كينونة الممكن ذاتها، إنه كينونة التعدُّد (لا ممكناً واحداً أو ممكنين أو عدة ممكنات).

وضمن هذه الشروط، لايمكن للتحليل البنيوي أن يكون منهجاً للتأويل ؛ إنه لايبحث عن تأويل النص، واقتراح معناه المترجِّح ؛ ولا يتبع مساراً تأويلياً باطنياً نحو حقيقة النص، نحو بنيته العميقة، نحو سرِّه ؛ وهو نتيجة لذلك يختلف أساساً عما يُسَمَّى بالنقد الأدبي، الذي هو نقد تأويلي، من نمط ماركسي، أو تحليلي نفسي. فالتحليل البنيوي للنص مختلف عن أنماط النقد هذه، لأنه لايبحث عن سرِّ النص : بالنسبة له كلُّ جذور النص ظاهرة للعيان ؛ وليس عليه أن يكشف عن هذه الجذور ليعثر على الرئيسي منها. وبطبيعة الحال، إذا كان نصٌّ يتضمن معنى، ودلالة أُحادية وإذا كانت توجد فيه سيرورة تأويلية باطنية روحية، وهذه بالضبط حال نصِّنا من **أعمال الرسل**، فإننا نعالج هذا التأويل الباطني مثل نسق من بين أنساق أخرى في النصِّ، يعرضها النص نفسه بتلك الصفة.

4.1 ـ ترتيبات إجرائية

أُفَضِّل هذا التعبير على التعبير الأكثر ترهيباً، أي **منهج**، لأني لست متيقناً أننا نمتلك منهجاً؛ بيد أنه يتوافر عدد مُعَيَّن من الترتيبات الإجرائية في البحث لابد من ذكرها. يبدو لي (وهذا موقف شخصي قد يتغير) أننا إذا كنا نشتغل على نصٍّ واحد (قبل القيام بعمل المقارنة

الذي تحدثت عنه، والذي هو الغاية ذاتها من التحليل البنيوي الكلاسيكي)، فيلزم أن نتوقَّع ثلاث عمليات :

1 ـ تقطيع النص، أي الدال المادي. يمكن لهذا التقطيع في رأيي أن يكون اعتباطياً تماماً؛ فلا ضير من هذه الاعتباطية في مرحلة معينة من البحث. إن ذلك أشبه ما يكون بتقسيم النص إلى مناطق كما تفعل حملة عسكرية توزع وحداتها لمراقبة منطقة، وهذا التقسيم يمنحنا شذرات النص التي سنشتغل عليها. والواقع أن هذا العمل قد أُنجز فيما يخص الإنجيل، وحتى الكتاب المقدس بأجمعه، لأن هذا الأخير مقطع إلى آيات (وبالنسبة للقرآن إلى سور وآيات). إن الآية وحدة ممتازة لاشتغال المعنى؛ ولأن المسألة تتعلق بفرز المعاني، والترابطات المتبادلة، فإن مُنْخُلَ الآية ذو حجم ممتاز. ويهمني جداً معرفة من أين جاء التقطيع إلى آيات، وهل كان مرتبطاً بالطبيعة الاستشهادية للقول، وما الروابط الدقيقة، الروابط البنيوية، بين الطبيعة الاستشهادية للقول الإنجيلي والآية. وفيما يخص النصوص الأخرى، فقد اقترحت لهذه الشذرات من الملفوظات التي يجري الاشتغال عليها تسمية **وحدات قرائية**. الآية بالنسبة لنا هنا هي وحدة قرائية.

2 ـ جَرْدٌ للأنساق الواردة في النص : جرد، أو حصاد، أو كشف، أو كما قلت آنفاً، فَرْز. فنحاول، وحدة قرائية بعد وحدة قرائية، آية بعد آية، جرد المعاني، بالمفهوم الذي ذكرت، والترابطات المتبادلة ومنطلقات الأنساق الحاضرة في تلك الشذرة من الملفوظ. وسأعود إلى هذا لأنني سأنجز هذا العمل على بعض الآيات.

3 ـ التنسيق : إثبات الترابطات المتبادلة بين الوحدات، والوظائف

المكتشفة التي غالباً ما تكون منفصلة، أو متكتِّلة، أو متشابكة، أو أيضاً مَجْدُولة، لأن النص، كما يدل على ذلك اشتقاق اللفظة، هو نسيج[6]، وجدلية من الترابطات المتبادلة، قد تنزاح عن بعضها بواسطة إدماج ترابطات متبادلة أخرى، تنتسب إلى مجموعات أخرى. يوجد نمطان كبيران من الترابطات المتبادلة : داخلية وخارجية. وهذا مثال عن تلك الداخلية في النص : إذا قيل لنا إن الملاك قد ظهر، فإن الظهور طرف يكون الطرف المترابط به هو بالضرورة الاختفاء. إنه ارتباط متبادل داخل ـ نصي، لأن الظهور والاختفاء موجودان في المحكي ذاته. ستكون حقاً فضيحة سردية إن لم يختف الملاك. لابد إذن من تسجيل متوالية الظهور/الاختفاء، فهذه هي المقروئية : أن يكون حضور بعض العناصر ضرورياً. توجد كذلك ترابطات متبادلة خارجية : إن سمة من سمات الملفوظ قد تحيل على مجموع مُمَيِّز، فوق مقطعي، إجمالي إذا جاز لي هذا التعبير، يعلو على النص؛ فيمكن لسمة في الملفوظ أن تحيل على الطابع الإجمالي لشخصية من الشخصيات، أو على المناخ الإجمالي لمكان من الأمكنة، أو على معنى باطني روحي، كما هو الحال هنا في نصنا، وهو مسألة إدماج الأمم [من غير اليهود] في الكنيسة المسيحية الناشئة. بل إن سمة قد تحيل على نصوص أخرى : ذلك هو التناص. هذا المفهوم حديث نسبياً، وقد اقترحته **جوليا كريستيفا**[7]. وهو يعني أن سمة من سمات ملفوظ ما تحيل على نص آخر، بالمعنى اللانهائي تقريباً للكلمة؛ إذا لا ينبغي الخلط بين مصادر نص من النصوص (التي ماهي إلا الشكل الأدنى في ظاهرة الاقتباس هذه)، وبين الاقتباس الذي هو

نوع من الإحالة الخفية على نص لانهائي، هو النص الثقافي للبشرية. وينطبق هذا خصوصاً على النصوص الأدبية، المنسوجة بتراكيب مسكوكة متنوعة للغاية، وحيث تتواتر بوفرة ظاهرة الإحالة والاقتباس والاستشهاد عن ثقافة سالفة أو راهنة. ولابد من إدراج النصوص اللاحقة فيما يسمى بتناص النصوص : فمصادر نص من النصوص لا توجد سابقة عليه فحسب، بل لاحقة به كذلك. هذه هي النقطة التي تبنّاها **ليفي - ستروس** بطريقة هي غاية في الإقناع، قائلاً إن الرواية الفرويدية عن أسطورة أوديب هي جزء من أسطورة أوديب : فإذا قرأنا سوفوكليس، ينبغي أن نقرأه كاقتباس من **فرويد**؛ **وفرويد** كاقتباس من **سوفوكليس**.

2 ـ القضايا البنيوية الحاضرة في نص «أعمال الرسل»

أصل الآن إلى النص، **أعمال الرسل**، 11- 10؛ وأخشى أن نصاب بخيبة الأمل، لأنّنا سندخل إلى الملموس، وأن الحصيلة، بعد هذه المبادئ الكبرى، قد تبدو ضئيلة. لن أحلّل النص خطوة خطوة، كما كان يلزمني أن أفعل؛ وأرجوكم أن تفترضوا ببساطة مايأتي : أنا باحث، وأقوم ببحث في التحليل البنيوي للسرد؛ وقد عزمت أن أحلل ربما مائة أو مائتين أو ثلاثمائة محكي؛ ومن بين هذه المحكيات، يوجد، لسبب أو آخر، محكي رؤيا كورنيليوس؛ هذا هو العمل الذي أنجزه ولا أمنحه امتيازاً من أي نوع. عادة، مايستغرق ذلك عدة أيام : سأجتاز المحكي آية بعد آية، ووحدة قرائية بعد وحدة قرائية. وسأقوم

بفرز كلّ المعاني، وكل الأنساق الممكنة، مما يستنفد بعض الوقت، لأن تصوّر الترابط المتبادل ليس فورياً، الترابط المتبادل يستلزم البحث والعمل؛ لابد إذن من بعض الوقت و بعض الصبر؛ لن أقوم بهذا العمل هنا، لكنني سأستخدم محكي **أعمال الرسل** لعرض ثلاث قضايا بنيوية كبرى، أرى أنها حاضرة في هذا النص.

1.2 ـ قضية الأنساق

قلت إن المعاني هي منطلقات أنساق، واقتباسات من أنساق؛ ولو قارنا نصنا بنص أدبي (لقد اشتغلت مؤخراً مطوّلاً على قصة لبلزاك)[8]، فمن الواضح أن الأنساق هنا قليلة جداً وفقيرة بعض الشيء. ومن المرجّح أن ثراءها سيظهر بصورة أفضل على مستوى الإنجيل بأكمله. سأحاول الكشف عن الأنساق كما أراها (وقد أغفل بعضها ربما) في الآيات الأولى (من الآية 1 إلى 3)، مؤجِّلاً حالة أهم نسقين موظَّفين في النص.

١ ـ **«وكان في قيصرية رجل إسمه كورنيليوس، ضابط من الفرقة الإيطالية في الجيش»**. في هذه الجملة أرى أربعة أنساق. أوّلا صيغة «وكان» التي تحيل ثقافياً (أنا لا أتحدّث هنا بمصطلحات تفسير الكتاب المقدس، ولكن بطريقة أكثر عمومية) على نسق أسميه سردياً: هذا المحكي الذي يبدأ بـ «وكان» يحيل على كل مفتتحات السرد. ولابد من استطراد هنا لأقول إن قضية افتتاح الخطاب قضية هامة، كشفتْ عنها وعالجتها جيّداً، على المستوى التداولي، البلاغةُ القديمة والكلاسيكية: لقد قدّمتْ قواعد غاية في الدقة لافتتاح الخطاب.

وفي رأيي، إن هذه القواعد مرتبطة بالإحساس بوجود حُبسة متأصِّلة في الإنسان، وأنّ الكلام صعب، وأنه ربما ليس هناك مايقال، ونتيجة لذلك، يلزم مجموع من الترتيبات والقواعد للبحث عما ينبغي قوله quid dicas. إنّ الافتتاح منطقة خطرة في الخطاب : ابتداء الخطاب فعل عسير؛ إنه الخروج من الصمت. والحقيقة أنه لايوجد سبب للابتداء من هنا لا من هناك. إن القول ببنية لانهائية، وأعتقد أن الإحساس بلانهائية القول هذه هو الحاضر في كل طقوس افتتاح القول. كان المنشد الملحمي في الملاحم العتيقة جداً، ما قبل **هوميروس**، يبدأ سرده قائلاً حسب عبارة طقوسية : «من هنا أبدأ القصة...»؛ وكان بذلك يشير إلى أنه واع باعتباطية تقطيعه؛ الابتداء يعني تقطيعاً لانهائياً بطريقة اعتباطية. فدراسة مفتتحات السرد إذن هامة جداً، وهذه الدراسة لم تحصل بعد. وقد اقترحت مرات عديدة على الطلبة أن يختاروا كموضوع لأطروحتهم دراسة الجمل الأولى في النصوص الروائية. إنه موضوع عظيم وطريف، لكن لا أحد منهم قد اختاره حتى الآن؛ وأنا أعرف أن هذا العمل يتمّ في ألمانيا، حيث صدرت دراسة عن مطالع الروايات. ومن وجهة نظر التحليل البنيوي، سيكون من المثير معرفة ماهي المعلومات الضمنية المتضمَّنة في مطلع، لأن هذا الموقع من الخطاب غير مسبوق بأي معلومة.

٢- «**في قيصرية...**» هنا يوجد نسق مكاني، متعلق بالتنظيم الشامل للأمكنة في المحكي. ولاشك أنه توجد في هذا النسق المكاني قواعد ترابط (قواعد مُشَاكَلة الحقيقة)، وتوجد وظيفية سردية للأمكنة؛ ونجد هنا أنموذجاً إبدالياً وتعارضاً ذا دلالة بين قيصرية ويافا. فمن اللازم أن تتطابق المسافة بين المدينتين مع مسافة من الزمن : إنها

قضية بنيوية نموذجية، لأنها قضيةُ تَوَافُقٍ وتلازُم تبعاً لمنطق مُعيَّن ينبغي استكشافه. لكن يبدو من الوهلة الأولى أنه منطق المُشَاكِل للحقيقة. وهذا النسق المكاني يُصَادَف في مواضع أخرى من النص. إن النسق المكاني هو بالطبع نسق ثقافي : إن قيصرية ويافا تقتضيان معرفة معيَّنة لدى القارئ، حتّى بافتراض امتلاك القارئ لهذه المعرفة بصورة طبيعية. وأكثر من ذلك : لو أدمجنا في لغة السرد الطريقة التي نتلقّى بها المحكي، باعتبار وضعيتنا كقرّاء معاصرين، سنكتشف فيه كل الإيحاءات الشرقية للفظة قيصرية، كل ما نجعله في لفظة قيصرية، لأننا كنا قد **قرأناها** منذئذ، عند راسين أو عند مؤلِّفين آخرين.

ملاحظة أخرى حول النسق المكاني : لدينا في الآية التاسعة سمة من هذا النسق : « صعد بطرس إلى السطح » إن الاقتباس المكاني هنا ذو وظيفة قويّة جداً داخل المحكي، لأنه يُبرِّر واقعة أن **بطرس لا يسمح** بوصول مبعوثي **كورنيليوس**، وبالتالي يكون تنبيه الملاك ضرورياً : « هنا ثلاثة رجال يطلبونك ... » السِّمة المكانية تصير وظيفة سردية. وأستغلّ المناسبة لأطرح قضية أساسية في السرد **الأدبي** : إن تيمة السطح هي في آن واحد طرف في النسق المكاني، أي نسق ثقافي يحيل على نمط من السَّكَن حيث توجد بيوت ذات سطوح ؛ وطرف في ما أسمِّيه نسق الأفعال، ومتواليات الأفعال : هناك يتدخّل الملاك؛ وإضافة إلى ذلك يمكن ربط تلك الإشارة بالحقل الرمزي، بالقدر الذي يكون فيه السطح مكاناً مرتفعاً، وينطوي نتيجة لذلك على رمزية معْراجية، إذا كان الارتفاع مقترناً بعبارات أخرى في النص. وهكذا فإن إشارة السطح تطابق ثلاثة أنساق مختلفة : نسق مكاني، وأفعالي، ورمزي. والحال أن طبيعة السرد، ماهو بمعنى ما أحد قوانينه

الأساسية، هو أن الأنساق الثلاثة معروضة بطريقة غير جازمة (لا يمكن القطع في شأنها بحكم جازم) : لا يمكن الجزم بوجود نسق راجح، وانعدام الجزم هذا هو في رأيي ما يُشَكِّل المحكي، لأنه يُحدِّد إنجاز الراوي. إن «السرد الجيد لقصة»، حسب المقروئية الكلاسيكية، هو العمل على عدم الحكم الجازم بين نسقين أو عدة أنساق، واقتراح ما يشبه الجهاز الدَّوَّار الذي يمكن بواسطته لنسق أن يقدم نفسه باعتباره الحجة الطبيعية للنسق الآخر، وبواسطته يُضْفي نسقٌ على نسقٍ آخر مظهر الشيء الطبيعي. وبعبارة أخرى، فإن ماهو ضروري للحكاية، وما يدخل تحت سلطة الخطاب، يبدو وكأن ما يُحدِّده هو الواقع، والمرجع، والطبيعة.

٣ ـ «**رجل اسمه كورنيليوس...**» يوجد هنا نسق أسميه عَلَمياً لأنه نسق أسماء الأعلام. وقد جدَّدت تحليلات حديثة مسألة اسم العلَم، التي لم تطرحها اللسانيات أبداً في الحقيقة، هذه التحليلات هي تحليلات **ياكبسون** من جهة، ومن جهة أخرى **ليفي ـ ستروس** الذي خصص في كتابه **الأنثروبولوجيا البنيوية**[9] فصلاً لقضايا تصنيف أسماء الأعلام. وعلى مستوى النص فإن البحث لن يذهب بعيداً، لكن من منظور قواعد السرد، فإن نسق أسماء الأعلام سيكون بالطبع نسقاً هاماً جداً.

٤ ـ «**ضابط من الفرقة الإيطالية في الجيش...**» : هنا يوجد، بصورة عادية، النسق التاريخي، الذي يستلزم معرفة تاريخية، أو إذا كان القارئ معاصراً للمرجع، مجموعاً من المعلومات السياسية، والاجتماعية، والإدارية... إلخ. إنه نسق ثقافي.

٥ ـ «**كان تقياً يخاف الله هو وجميع أهل بيته، ويحسن إلى**

الشعب بسخاء، ويداوم على الصلاة لله». هنا يوجد ما أسمّيه نسق المُقَوِّمات الدلالية. والمقوِّم الدلالي في اللسانيات هو وحدة من وحدات المدلول لا الدال. وأسمِّي نسق المقومات الدلالية مجموع دوال الإيحاء، بالمعنى الشائع للمصطلح؛ وقد يكون الإيحاء متعلّقاً بطبع الشخصية، إذا ما قُرئ النص سيكولوجياً (سيوجد حينئذ مدلول عن طبعٍ **كورنيليوس**، يحيل على طبيعته النفسية). وقد يكون الإيحاء بنيوياً، إذا ماقرئ النص قراءة باطنية روحية، إذ أن صنف «الذين يخافون الله» ليست له قيمة سيكولوجية، بل قيمة علائقية ضمن توزيع الشخصيات المشاركة في الإنجيل، كما ذكرت آنفاً.

٦ ـ يوجد كذلك نسق بلاغي [10] في هذه الآية، لأنها تقوم على ترسيمة بلاغية وأعني بذلك أنه توجد قضية عامة مدلولها هو التقوى، ويتم تفكيكها إلى «مَثَلَين» **exempla**، كما كانت تقول البلاغة الكلاسيكية : الإحسان والصلاة.

٧ ـ «**فرأى... في رؤيا واضحة...**» لدينا هنا أحد عناصر نسق هام جداً، سأعود إليه فيما بعد، سأسميه مؤقّتاً نسق **الأفعال**، أو نسق متواليات الأفعال. الفعل هنا هو «رأى في رؤيا». سنعالج هذه المسألة فيما بعد.

٨ ـ «**نحو الساعة الثالثة من النهار...**» : هذا هو النسق الزماني؛ وتوجد منه اقتباسات عديدة في النص؛ وسنبدي الملاحظة نفسها التي سجلناها بخصوص النسق المكاني : فالنسق الزماني مرتبط بقضايا مُشاكَلة الحقيقة؛ إن الملاك يُنَظِّم تزامنيةَ رؤيا **كورنيليوس** ورؤيا **بطرس**؛ فللنسق الزماني أهمية بنيوية ؛ إذ من وجهة نظر السرد، لابد للرُّؤيَيْن معاً أن تتطابقا. وهذا النسق مُهمّ جداً لدراسة الرواية؛ وينبغي

التذكير من جهة أخرى أن **ليفي ستروس** قد درس التسلسل الزمني باعتباره نسقاً بصدد قضية تأريخ الأحداث التاريخية.

٩ - «**فرأى... في رؤيا واضحة ملاك الله يدخل عليه ويناديه : "ياكورنيليوس" ...**» ألاحظ هنا حضور نسق أسمّيه حسب تصنيف **ياكبسون**، نسق إقامة الاتصال(Phatique من الكلمة اليونانية = Phasis قول). لقد ميَّز ياكبسون ستّ وظائف في اللغة، ومن بينها، وظيفة إقامة الاتصال، أو مجموع سمات التلفظ التي بواسطتهانُقيم، أونُحافظ، أو نجدِّد الاتصال بالمخاطب. إنها إذن سمات في اللغة لا مضمون لها كرسالة، لكنها تلعب دور مناداة متجدِّدة (أفضل مثال هو اللفظة الهاتفية «آلو» التي لا معنى لها، لكنها تفتح الاتصال وغالباً ما تحافظ عليه : إنها سمة من نسق إقامة الاتصال). وهكذا فإن سمات المناداة تابعة لنسق إقامة الاتصال هذا.

إنها نوع من صيغة النّداء المُعمَّمة، ثم سنصنِّف ضمن هذا النسق إشارة مثل «وهذه (أي الرؤيا) قد حدثت ثلاث مرات»، إذ أنه من الممكن تأويل تلك الإشارة باعتبارها سمة إطناب، وإلحاح، للتواصل بين الملاك وبطرس، بين الروح وبطرس : إنها سمة من نسق إقامة الاتصال.

١٠ - من الممكن أن نرى بعد هذا، في «**فرأى السماء مفتوحة، وشيئاً يشبه قطعة قماش كبيرة معقودة بأطرافها الأربعة تتدلى إلى الأرض**» (الآية11) اقتباساً من الحقل **الرمزي** (**أُفَضِّل** أن اقول حقلا بدل نسق رمزي)، أي تنظيم الدوال تبعاً لرمزيةٍ مِعْراجية، ومن الواضح أهمية المعنى الرمزي : إن النص يُنظِّم، على مستوى المحكي ومن خلال تهيئة للدوال، عرضاً لانتهاك، وإذا كان لهذا الانتهاك أن

يُحلَّل بعبارات رمزية، فذلك لأنه انتهاك مرتبط بجسد بشري. وهو في هذه النقطة نص هام، لأن الانتهاكين المدروسين والمأمور بهما كلاهما جسدي. يتعلق الأمر من جهة بالطعام، ومن جهة أخرى بالختان. وهذان الانتهاكان الجسديان، أي الرمزيان (بالمعنى التحليلي النفسي للكلمة)، يَقْرِن بينهما النص صراحة، لأن الانتهاك الغذائي يستخدم مدخلاً، أو إذا أمكن القول، مثالاً لانتهاك قانون التمييز والإقصاء (بين المسيحيين) بواسطة الختان. فَضلا عن أن وصفاً رمزياً لن يأخذ بالاعتبار التراتبية التي أَوْجَدَتْها بين الانتهاكين. فهذه التراتبية المنطقية، ما يعرضها هو المقايسة التي يُقيمها النص، وهي المعنى الذي يريد النص ذاته أن يعطيه لسرده، لكن لوشئنا «تأويل» النص رمزياً، فلا ينبغي جعل الانتهاك الغذائي قبْل الإنتهاك الديني، بل يجب محاولة معرفة أي شكل عام للانتهاك يوجد وراء بناء التأويل الباطني الروحي للنص.

١١ ـ أما النسق الباطني الروحي الذي تحدثت عنه آنفاً، فهو النظام الذي تُحيل عليه كل السِّمات التي تنطق بالمعنى الوحيد للنص، لأن النص هنا ينطق بمعناه الخاص وليس الحال هكذا دائماً. لا يوجد نسق تأويلي باطني روحي في النص الأدبي: النص لا ينطق بمعناه العميق، معناه الخفيّ، ولأنه لا يفعل ذلك يستطيع النقد الاستحواذ على ذلك المعنى. ويحدث مرات عديدة أن تصدر عن هذا النسق التأويلي الباطني الروحي اقتباسات، مثلاً لّما يحاول بطرس أن يفسّر لنفسه معنى الرؤيا التي رآها، أومثلا حين مناقشة المعنى، والتهدئة بواسطة المعنى داخل جماعة المسيحيين من أصل يهودي في **أورشليم**. المعنى التأويلي الباطني الروحي يقدّمه النص نفسه: إنه إدماج غير

المختونين (أي غير اليهود من المسحيين) في الكنيسة الناشئة . وقد ينبغي أن نربط بهذا النسق كلّ السِّمات التي تذكر قضيّة الضّيافة : إنّها أيضاً جزء من هذا النّسق التأويلي الباطني الروحي .

١٢ ـ نسق مهمّ أخير هو نسق **اللغة الواصفة** : هذا المصطلح يعني اللغة التي تتكلم عن لغة أخرى . إذا كتبتُ مثلاً كتاباً في قواعد اللغة الفرنسية، فإنني أنجز لغة واصفة، لأنني أتكلم بلغة (وهي كتابي في قواعد اللغة) عن لغة هي الفرنسية . فاللغة الواصفة هي إذن لغة تتكلّم عن لغة أخرى أو يكون مرجعها لغة أو خطاباً . والمهم هنا هو أن المشاهد المتعلّقة باللّغة الواصفة مهمّة وعديدة : إنها التلخيصات الأربعة أو الخمسة التي يتكوَّن منها النص . التلخيص هو مشهد لغوي واصف، وسمة لغوية واصفة : يوجد محكي مَرْجِع، ولغة مرجع هي رؤيا **كورنيليوس**، رؤيا بطرس، الرؤيبان كلتاهما، سيرة المسيح... ، هذه محكيات مرجع، ثم توجد إعادات لغوية واصفة بحسب مخاطبين مختلفين :

- الرجال الثلاثة المبعوثون يلخصون لبطرس الأمر الصادر إلى كورنيليوس .
- كورنيليوس يلخص رؤياه لبطرس ؛
- بطرس يلخص رؤياه لكورنيليوس ؛
- بطرس يلخص الرؤيين لجماعة أورشليم ؛
- أخيراً، يلخص بطرس لكورنيليوس سيرة المسيح .

ولي عودة إلى هذا النسق . لكنني أرغب في الحديث عن مسألتين أخريين هامتين تطابقان نسقيْن خاصّيْن أو منعزلين في النص .

2.2 ـ نسق الأفعال

يُحيل هذا النسق على تنظيم الأفعال التي يقوم بها الفاعلون الحاضرون في السرد أو التي تقع عليهم. إنه نسق هام لأنه يُغطّي كلّ ما يبدو لنا في النص سردياً بالذات وبشكل مباشر، أيْ سَرْد **ما يَحْدُث**، الذي يتمّ تقديمه عادة بحسب منطق سببي وزمني في آن واحد. وقد لفت هذا المستوى فوراً اهتمام المحلّلين. فقد وضع **پروپ** « الوظائف » الكبرى للحكاية الشعبية، أي الأفعال الثابتة، المنتظمة، التي نصادفها، باختلافات يسيرة في جميع محكيات الفولكلور الروسي، وترسيمته (التي تتضمّن سلسلة من حوالي ثلاثين فعلاً) قد استأنفها وصحَّحها **ليڤي ستروس**، و**غريماس**، و**بريمون**. ويمكن القول الآن إن « منطق » الأفعال السردية قد تمّ تصورُّه بطرق عديدة، متقاربة لكنها مختلفة. يرى **پروپ** أن سلسلة الأفعال السردية لا منطق لها؛ إنها بالنسبة له سلسلة ثابتة، منتظمة، لكن دون مضمون، وقد اقترح **ليڤي ستروس وغريماس** فرضية تقول إنه من اللازم إعطاء هذه السلاسل من الأفعال بنية استبدالية وإعادة بنائها كسلسلة متعاقبة من التقابلات؛ هنا مثلاً في النص، الانتصار البدئي (للحرف) يتقابل مع هزيمته (النهائية)[11]؛ وحَدٌّ وَسَط يقوم بتحييدهما مؤقتاً وهو المواجهة. وحاول **بريمون** من جهته أن يُعيد تشكيل منطق لخيارات الفعل، فكل « موقف » يمكن « حَلُّه » بطريقة أو أخرى، وكل حلٍّ يُوَلِّد خياراً جديداً. وأنا أميل شخصياً إلى فكرة نوع من المنطق الثقافي، لايَدين بشيء لأيٍّ مُعْطىً ذهني، ولوكان من مستوى أنثروبولوجي؛ إن سلاسل الأفعال السردية بالنسبة لي تُكْسَى

بظاهر منطقي صادر فقط عن المكتوب سلفاً؛ وبكلمة واحدة، صادر عن الأشكال المسكوكة.

ومهما يكن الأمر، وبأي طريقة كانت بَنْيَنَةُ الأفعال السردية، فهذه مثلاً متواليتان لأفعال حاضرة في نصّنا :

أ. متوالية بسيطة، ذات نَوَاتين، من نمط **سؤال / جواب** : سؤال بطرس للمبعوثين / جواب المبعوثين؛ استفسار بطرس الموجَّه إلى كورنيليوس / جواب كورنيليوس. ويمكن للترسيمة نفسها أن تتعقَّد دون أن تفقد بنيتها : خبر يثير الاضطراب / طلب توضيح من الجماعة / تفسير بطرس / طمأنة الجماعة. لنلاحظ أن مثل هذه المتواليات تكون هامّة بالقدر الذي تكون فيه مبتذلة شائعة، لأن ابتذالها ذاته يشهد على كونها قيداً عاماً تقريباً، أو أيضاً : قاعدة من قواعد لغة السرد.

ب . متوالية متطوِّرة، ذات أَنْوية متعددة : وهي **البحث** (عن بطرس بواسطة مبعوثي كورنيليوس) : الذهاب / البحث / الوصول إلى موضع / الطلب / الحصول على الطلب / العودة بالمطلوب. وبعض العناصر **قابلةٌ للاستبدال** (في محكيات أخرى) : **العودة بالمطلوب** يمكن أن يحلّ محلّها في موضع آخر **التخلّي**، **التنازل**... إلخ.

إن متواليات الأفعال، المتشكِّلة تبعاً لبنية منطقية ـ زمنية، تتجلَّى على امتداد المحكي حسب نظام مُعقَّد : يمكن لعنصرين في المتوالية ذاتها أن يَفصِل بينهما ظهور عناصر تنتسب إلى متواليات آخرى؛ فتشابك المتواليات يُشكِّل **جَدِيلةَ** المحكي(لا ننس أن أصل اشتقاق نص

[في الفرنسية] هو نسيج). هنا نجد التشابك بسيطاً نسبياً : يوجد نوع من **تبسيطية** للمحكي، وهذه التبسيطية تقوم على مجرّد تَجَاوِرِ المتواليات (فلا تعقيد فيها). إضافة إلى ذلك، يمكن لعنصر في متوالية أن يُمثّل لِـوَحد « متواليةً فرعية؛ إن متوالية الملاك تتضمن أربعة عناصر : الدخول /الظهور للعين/ التبليغ/الانصراف؛ وأحد هذه العناصر ، أي التبليغ يشكّل **أمْراً** (وصيّة إلهية) يتفكك بدوره إلى عناصر ثانوية (نداء /طلب/ سبب الأختيار/ مضمون النداء/ تنفيذ)؛ فيوجد، إذا صح القول، **تفويض** من متتالية أفعال إلى عنصر مُكلَّف بتمثيلها في متتالية أفعال أخرى : **تحيّة/الردّ على التحيّة** ؛ فهذه الشذرة من المتوالية تمثّل معنى معيناً (« ماأنا إلاّ بشر مثلك! » الآية 26).

تشكّل هذه الإشارات القليلة التخطيط الأوّلي للعمليات التحليلية التي ينبغي أن يخضع لها مستوى الأفعال في المحكي. هذا التحليل غالباً ما يكون جهماً جافاً، لأن المتواليات تبدو بديهية ويبدو الكشف عنها لاجدوى منه، لذلك لابدّ من تصور أن هذه اللاجدوى ذاتها، لكونها تشكّل الاعتيادية السّويّة لمحكياتنا، تستدعي دراسة ظاهرة رئيسة لم يُسلّط عليها سوى قليل من النور : لماذا هذا المحكي مقروء ؟ وما شروط مقروئيته؟ وما حدودها؟ كيف، ولماذا يبدو لنا أن قصة هي **ذات معنى**؟ في مواجهة متواليات عادية (مثل متواليات محكينا) لابد دائماً من التساؤل عن إمكانية متواليات فضيحية منطقياً، سواء لشذوذها، أو لنقصان عنصر فيها : هكذا ترتسم قواعد لغة المقروء.

3.2 ـ نسق اللغة الواصفة

المسألة الأخيرة التي أرغب في استنباطها من نص **أعمال الرسل** هذا مرتبطة بما سميته النسق اللغوي الواصف. تكون اللغة الواصفة، كما قلت، حين تتكلم لغة عن لغة أخرى. تلك حال التلخيص، الذي هو فعل لغوي واصف، لأنه خطاب يكون مرجعه خطاباً آخر. والحال أنّه يوجد في نصّنا تلخيصات أربعة متناصّة فيما بينها، وزيادة على ذلك يوجد تلخيص خارج عن النص لأنه يُحيل على الإنجيل بأكمله، أي سيرة المسيح :

- رُؤيا كورنيليوس يستعيدها ويلخّصها مبعوثو كورنيليوس لبطرس. وكورنيليوس نفسه يلخصها لبطرس.
- رؤيا بطرس يلخصها بطرس لكورنيليوس.
- الرؤييان معاً يلخصهما بطرس لجماعة أورشليم.
- وأخيراً سيرة المسيح يلخصها، إذا جاز القول، بطرس لكورنيليوس ولأصدقاء كورنيليوس.

2-3-1 - **التلخيص**. لو كنت، أمام هذا النص، في منظور بحث عام، لصنّفته في خانة مشكلة التلخيص، وتنظيم البنية اللغوية الواصفة في المحكيات. إن التلخيص، لسانياً، هو اقتباس للمعنى دون اللفظ، اقباس للمضمون (لا الشكل)، ملفوظ يُحيل على ملفوظ آخر، لكن مرجعه لّما لم يعد حرفياً، صار متضمّناً لعملٍ بَنْيَنَة. والمهمّ هو أن التلخيص يُبَنْيِنُ لغة سابقة، هي نفسها فضلاً عن ذلك مُبَنْيَنَة سلفاً. المرجع هنا هو محكي سلفاً (وليس هو «الواقع») : إن ما يلخصه بطرس لجماعة أورشليم، ليس من الواقع إلا ظاهرياً؛ والحقيقة أنه هو

ما كنا قد عرفناه سلفاً عن طريق نوع من المحكي الصّفر، هو محكي صاحب النص أي، على ما يبدو، **لوقا.**[12] ونتيجة لذلك، فما يهمنا من وجهة نظر إشكالية التلخيص، هو أن نفهم إنْ كانت توجد حقاً فجوة بين المحكي الأوّل، المحكي الصفر، وبين مرجعه، أي مادة السرد المفترض واقعيتها. هل يوجد حقاً نوع من ما قبل المحكي، يكون هو الواقع المطلق، ثم بعد ذلك يأتي سرد، يكون هو محكي **لوقا**، ثم بعد ذلك، محكي كل المشاركين على التوالي : محكي 1،2،3،4... إلخ؟ والحقيقة أن ما بين محكي **الأعمال**، أي محكي لوقا، وبين الواقع المفترض، يُقال اليوم ببساطة أنه توجد علاقة **نصٍ** مع **نصٍ** آخر. هذه إحدى القضايا الإيديولوجية الرئيسة المطروحة، لا في البحث بقدر ماهي مطروحة في بعض الجماعات المنشغلة بالالتزام في الكتابة، وتلك هي قضية المدلول النهائي : هل يمتلك نصٌ مدلولاً نهائياً على نحوٍ ما ؟ لو جَلَوْنا عن النص كل بنياته، هل سنصل في لحظة معينة إلى مدلول نهائي، سيكون مثلاً في حال الرواية الواقعية، هو « الواقع » ؟

إن البحث الفلسفي لـ**جاك ديريدا** قد استأنف بطريقة ثورية قضية المدلول النهائي هذه، مفترضاً أنه في العمق لا توجد أبداً في العالم إلا كتابةُ كتابةٍ : إن أي كتابة تُحيل دائماً في النهاية على كتابة أخرى، واستكشاف العلامات هو، على نحو ما، لا نهائي. وبناء على ذلك، فإن القيام بوصف أنظمة المعنى مع افتراض مدلول أخير، هو تَحيُّزٌ ضدّ طبيعة المعنى ذاتها. هذا النوع من التأمل الفلسفي ليس من غرضي اليوم أو من اختصاصي؛ لكن المجال الذي يجمعكم اليوم، أي الكتابة المقدَّسة، مجالٌ ممتازٌ لهذه المسألة، فمن جهة لاشكّ في أن مدلولاً نهائياً مُفترَضٌ لاهوتياً : إن التعريف الميتافزيقي

أو التعريف الدلالي للآهوت، هو افتراضُ مدلول نهائي؛ ومن جهة أخرى فإن مفهوم الكتابة المقدّسة ذاته، وواقع أن الإنجيل يُسمَّى كتابة مقدسة سيوجّهنا نحو إدراك أكثر التباساً للقضايا، كما لو كان الأساس والبدء واقعياً، ولاهوتياً أيضاً، هو مرة أخرى كتابة، ودائماً كتابة.

2 ــ 3 ــ 2 ـ **التمطيط**. إن مسألة اختلاف مستويات الدوالّ عبر التلخيصات التي يبدو كأنها تنعكس في مرايا، بعضها في بعض، مهمّةٌ جداً لنظرية حديثة في الأدب. ونصّنا يمتاز بكثافة اختلاف المستويات، والتلخيصات، المتدرِّجة كما لو كنت تُعاين لعبة المرايا كاملة. توجد هنا مسألة بنيوية مثيرة للاهتمام، لم تدرس بعد جيداً : إنها مسألة **التمطيط**؛ توجد في المحكي عدة مستويات من الضرورة، والتلخيصات هي التي تبرز ما يمكن حذفه أو إضافته : فإذا كانت حكاية تظل ثابتة عبر تلخيصها، فذلك يعني أنه يمكن «حشو» هذه الحكاية؛ ومن تم مصطلح تمطيط هذا؛ فيمكن القول إن الحكاية دون تلخيصها، الحكاية كاملة، هي نوع من مرحلة تمطيطية لحال التلخيص؛ توجد علاقة حشو بين بنية هزيلة وبنية مليئة، ودراسة هذه الحركة هامة، لأنها تُوضِّح عملَ البنية. إن المحكي على مستوى معيّن، أشبه بالجملة. ومبدئياً يمكن تمطيط جملة إلى مالانهاية. ولست أدري أي عالم لسانيات أمريكي (شومسكي أو واحداً من مدرسته) قد قال ما يلي، وهو فلسفياً جميل جداً : «إنّنا لا نتكلم أبدا سوى جملة واحدة، الموت وحده يقطعها» . إن بنية الجملة ينتج عنها أن بإمكانك دائماً أن تضيف كلمات، وصفات، ونعوتاً، وجملاً تابعة أو أخرى رئيسة، ولن تتغير بنية الجملة أبداً. وإذا كانت كل الأهمية متركزة اليوم على اللغة، فذلك لأن اللغة، كما توصف الآن، تقدم لنا

نموذج موضوع هو في آن واحد مُبَنْيَن ولا مُتَنَاهٍ : توجد في اللغة تجربةُ بنية **لامتناهية** (بالمعنى الذي تعطيه الرياضيات لهذه الكلمة)؛ والجملة هي أوضح مثال على ذلك : يمكنك حشو جملة لانهائياً؛ وإذا أوقفت جُمَلك، إذاأقفلتها، وقد كانت هذه هي القضية الكبرى للبلاغة (كما يشهد على ذلك مفهوما **الجملة الدَّوْرِية التامة وخاتمة الجملة التامة** اللذان هما عاملا إقفال وختْم)، فذلك لايكون إلا تحت ضغط أمور طارئة، ناتجة عن التنفُس، والذاكرة، والإعياء، لكن ذلك لن يكون أبداً بسبب البنية : لا قانون بنيوي يجبرك على إقفال الجملة، فيمكنك أن تفتحها بنيوياً إلى مالانهاية. وقضية التلخيص هي هذه القضية ذاتها، منقولة إلى مستوى السرد. إن التلخيص يبرهن على أن الحكاية هي، على نحو ما، بدون نهاية : يمكنك حشوها لانهائياً؛ وإذن، لماذا إيقافها عند هذه اللحظة دون تلك، هذه إحدى القضايا التي ينبغي أن يتيح لنا تحليل السرد التصدي لها.

2-3-3 - **بنية الرسم البياني.** إضافة إلى ذلك وبالنظر إلى نصّنا، فإن اختلاف مستويات التلخيصات وتعدّدها (توجد خمسة تلخيصات في فضاء صغير من النص)، يستتبع أن لكل تلخيص دورة مقصد جديدة. وبعبارة أخرى، فإن تكثير التلخيصات يعني تكثير مقاصد الخطاب. إن نص **الأعمال** هذا يبدو، بطريقة بنيوية، بل قد أقول، بطريقة ساذجة وظاهراتية، موقعاً ممتازاً لحركةٍ كثيفة من تعدّد الخطابات و ذيوعها، و انتشارها، و انكسارها.

يمكن لشيء واحد أن يقال على مستويات أربعة متتابعة؛ مثلاً أمر الملاك الموجَّه إلى كورنيليوس يُنطَق به باعتباره أمراً يَصْدُر، وباعتباره

أمراً قد تمّ تنفيذه، وباعتباره سرداً لهذا التنفيذ، وباعتباره تلخيصاً لسرد هذا التّنفيذ؛ و بالطّبع يتوالى المتلقّون: الملاك يقوم بإبلاغ بطرس وكورنيليوس، بطرس يقوم بإبلاغ كورنيليوس، كورنيليوس يقوم بإبلاغ بطرس، ثم بطرس يقوم بإبلاغ جماعة أورشليم، وأخيراً إلينا نحن القراء. وقد قيل إن أغلب المحكيات هي محكياتُ طَلَب، محكيات بَحْث حيث ترغب ذاتٌ في موضوع أو تبحث عنه (تلك هي حال محكيات المعجزات). وفي رأيي، إن مُحرِّك هذا النص -وهنا فرادته البنيوية- ليس هو البحث، بل الإبلاغ و«الإرسال»[13]: إنِ شخوص المحكي ليسوا فاعلي أفعال بل فاعلي إرسال، وفاعلي إبلاغ وذيوع. وهذا مهم: إننا سنرى بصورة ملموسة، وقد أقول بصورة «تقنية»، أنّ النص يعرض ما أسميه بنية **رسم بياني** بالقياس إلى مضمونه. إن الرسم البياني هو مقايسة تناسبية؛ إنه ليس نسخة تصويرية (يكفي التفكير في الرسوم البيانية في الديموغرافيا، وعلم الاجتماع، والاقتصاد)؛ إنه شكل قد أوضحه جيّداً **ياكبسون**: فالرسم البياني مهم جداً في النشاط اللغوي، لأن اللغة تنتج في كل لحظة أشكالاً بيانية، إذ لا يمكنها أن تستنسخ حرفياً، حسب محاكاة تامة، مضموناً بواسطة شكل، لأنه لا سبيل إلى مقارنة الشكل اللغوي بالمضمون؛ لكن ما يمكن أن تفعله اللغة هو إنتاج أشكال رسوم بيانية؛ والمثال الذي قدّمه **ياكبسون** مثال مشهور: الرسم البياني الشعري (لأن الشعر هو موقع الرسم البياني)، هو الشّعار الانتخابي للجنرال **أيزنهاور**، حين ترشّحه للرئاسة: «I like Ike»[14]؛ إنه رسم بياني لأن كلمة ike متضمّنة ومكتنَفة بالحب في كلمة like. هناك علاقة رسم بياني بين جملة «I like Ike» والمضمون، أي أن الجنرال **أيزنهاور** مشمول بحبّ ناخبيه وناخباته.

بنية الرسم البياني هذه، موجودة في نصنا، لأنّ مضمون النص ولسنا نحن الذين نخترع هذا المضمون، لأننا، ونكرر هذا مرة أخرى، نتعامل مع نص أسميه نصاً تأويلياً باطنياً روحياً، يُقدِّم معناه بنفسه، هذا المضمون هو إمكانية نشر وتعميم المعمودية على غير أهل الختان من المسيحيين. والرسم البياني هو تعميم ونشر النص بواسطة تكثير التلخيصات؛ وبعبارة أخرى، هناك نوع من الانكسار (بالمعنى الهندسي) البياني حول مفهوم الإبلاغ اللاّ محدود والمُعَمَّم. إن ما يجسّده هذا المحكيّ بطريقة الرّسم البياني هو فكرة اللامحدود هذه. إن واقع وجود أربعة تلخيصات للمشهد نفسه في هذا الحيّز الضئيل يُشكِّل صورةَ رسم بياني عن الطابع اللامحدود للنّعمة من أجل الخلاص. نظرية «اللامحدود» هذه يعرضها محكي يجسّد «لا محدودية» التلخيص. ومن ثمّ، فإنّ «موضوع» النص، هو فكرة الرسالة ذاتها، وبالنسبة للتحليل البنيوي، فموضوع هذا النص هو الرسالة (بمعناها اللساني)، إنها استخدام للغة، والتواصل؛ وهي فضلاً عن ذلك تيمة من تيمات العنصرة [15] (ونجد تلميحاً لذلك في النص). الموضوع هو الإبلاغ ونشر الخطابات واللغات. وبنيوياً، كما رأينا، لا يتم التلفظ بمضمون ما يجب على كورنيليوس أن يطلبه من بطرس : لا يقول الملاك لكورنيليوس لماذا يجب عليه أن يبعث لإحضار بطرس. والآن ندرك المعنى البنيوي لهذا النقص، الذي تحدثت عنه في البداية : ذلك لأن الخطاب، في الحقيقة، هوشكله بالذات، هو مقصد ذاته. إن ما يجب على كورنيليوس أن يطلبه من بطرس، ليس مضموناً حقيقياً، إنه التواصل مع بطرس. فمضمون الخطاب إذن هو الخطاب ذاته؛ ومقصد الخطاب، أي غير المختونين من المسيحيين، هذا هو المضمون ذاته للخطاب.

لا شك أن هذه الإشارات ستبدو قاصرة عن بلوغ النص. وعذري في هذا أن هدف البحث ليس شرح النص أوتأويله، بل مُساءلته (من بين نصوص أخرى) بهدف تشكيل جديد للغة عامة للسرد. ولما كنت أمام ضرورة الحديث عن نصّ، ونص واحد، لم أتمكّن من الحديث لا عن التحليل البنيوي للسرد عموماً ولا عن بنينة تفصيلية لهذا النص، لذا حاولت تسويةً مع كل خيبات الأمل التي يمكن أن تتضمنها مثل هذه التسوية؛ القيام بإنجاز عرض جزئي؛ ووضع الخطوط الأولى للملف البنيوي للنص، لكن لكي يجد هذا الإنجاز كلّ معناه، لابد من ضمّ هذا الملف إلى ملفات أخرى، ودمج هذا النص في المتن الهائل لمحكيات العالم.

هوامش الفصل الأول

1 ـ هذا المصطلح مشتق من اللفظة اليونانية Diégèsis أي السرد والحكاية والقص [المترجم].

2 - Tzvetan Todorov, Théorie de la littérature, Paris, Ed du Seuil 1965

[انظر الترجمة العربية الجزئية التي أنجزها إبراهيم الخطيب : نظرية المنهج الشكلي . نصوص الشكلانيين الروس، بيروت، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، 1982 المترجم].

3 ـ الأنفرة، Anaphore هي كل مقطع في النص يعود على مقطع سابق أو مقاطع (كما هو حال الضمائر داخل الجملة)، وتتحدّد هذه الأنفرة لتسهم في تشاكل دلالي، أما الكتفرة Cataphore فهي كل مقطع يعود على مقطع لاحق في النص، أو مقاطع . و هو مايمكن أن نسميه بلغة النحاة العرب : العائد على متقدّم أو متأخّر [المترجم].

4 ـ سننقل إلى العربية حرفياً الترجمتين اللتين يوردهما بارت ؛ ومن المفيد مقارنتهما بنص الترجمة العربية الوارد في مطلع هذا التحليل [المترجم].

5 ـ الفيلولوجيا هي علم الوثائق المكتوبة من حيث تحقيقها ونقدها وعلاقاتها مع مجموع الحضارة، وتاريخ الألفاظ وأصلها؛ والترجمة العربية الشائعة لهذا الحقل من البحث هي فقه اللغة [المترجم].

6 ـ النص Texte في الفرنسية مشتق من الأصل اللاتيني Textus أي نسيج [المترجم]

7 - Julia Kristeva,Sémiotiké, Recherche pour une sémanalyse,Paris, Ed.du Seuil, 1969

8.. يقصد بارت هنا تحليله النصي لقصة سارازين لبلزاك في كتابه S/Z الذي سيصدر في 1970، أي سنة بعد نشرهذه الدراسة [المترجم]

9 - Claude lévi-Strauss, Anthropologie Structurale,Paris, Plon,1958

10 ـ البلاغة هنا يقصد بها البلاغة الغربية(أو ما كان يسميه العربُ بإيحاء من أرسطو : الخطابة) . انظر رولان بارت، البلاغة القديمة، ترجمة وتقديم عبد الكبير الشرقاوي، الدار البيضاء الفنك، 1993 .

11 ـ الحرف هنا هو التشبث بالمحرمات الموروثة عند اليهود من العهد القديم : عدم مخالطة غير المختونين والمحرمات المتعلقة بالأطعمة، ويؤكد نص الإنجيل على تجاوز وإلغاء هذه المحرمات العتيقة في وحدة الجماعة المسيحيةالمكونية [المترجم].

12 ـ لوقا هو الذي قام بتدوين نص أعمال الرسل،إضافة إلى تدوينه للإنجيل المسمى باسمه (إنجيل لوقا)، وهو أحد الأناجيل الأربعة [المترجم].

13 ـ يشطربارت هنا الكلمة الفرنسية Transmission إلى Trans أي عبر ونحو، وmission أي مهمة ورسالة [المترجم].

14 ـ هذا الشعار متركب من ضمير المتكلم انا، وفعل like الذي يعني يلائم، ويميل إلى، ويرضى، ويرغب في، ويحب ؛ IKE التي هي ترخيم اسم ايزنهاور [المترجم].

15 ـ العنصرة عيد يحتفل بذكرى حلول الروح القدس على التلاميذ بعد صعود المسيح إلى السماء، وهو يأتي بعد خمسين يوما من عيد الفصح [المترجم].

الفصل الثاني

الصراع مع الملاك

تحليل نصّي لسفر التكوين 32.23 - 33 :

صراع يعقوب مع الله

٢٣وقامَ في الليلِ، فأخَذَ امرأتَيه وجاريَتَيه
وبنيهاالأَحَدَ عشَرَ وعَبَرَ مخاضَةَ يبُّوق* ،
٢٤أخَذَهُم وأرسلَهُم عَبرَ الوادي مع كُلِّ ما كانَ
لَه. ٢٥وبقيَ يعقوبُ وحدَهُ، فصارَعَهُ رَجُل *
حتى طُلوعِ الفَجرِ. ٢٦ولمَّا رأى أنَّه لا يقوى
على يعقوبَ في هذا الصِّراعِ، ضرَبَ حُقَّ
وركه فانخَلَعَ. ٢٧وقالَ ليعقوبَ : « طلع الفجر
فاتركني! » فقال يعقوب : « لا أترُكُكَ حتى
تُباركَني ». ٢٨فقالَ الرَّجلُ : « ما اسمُكَ؟ »
قالَ : « اسمي يعقوبُ ». ٢٩فقالَ : « لا يُدعَى
اسمُكَ يعقوبَ بَعدَ الآنَ بل إسرائيلَ *، لأنَّكَ
غالَبْتَ اللَّهَ والنَّاسَ وغلَبْتَ ». ٣٠وسألَهُ يعقوبُ :
« أخبرني ما اسمُكَ ». فقالَ : « لماذا تسألُ عَن
اسمي ». وبَارَكَهُ هُناكَ *.
٣١وسمَّى يعقوبُ ذلكَ الموضِعَ فنوئيلَ*،
وقالَ : « لأنِّي رأيتُ اللَّهَ وجهاً إلى وجهٍ ونَجَوتُ
بحياتي ». ٣٢واشرَقَت لهُ الشَّمسُ وهوَ يعبُرُ
فَنوئيلَ عارجاً منْ وركِه. ٣٣لذلكَ لا يأكُلُ بَنو
إسرائيلَ عِرقَ النَّسا الذي في حُقِّ الوركِ إلى هذا
اليومِ، لأنَّ الرَّجلَ ضرَبَ حُقَّ وركِ يعقوبَ
على عِرقِ النَّسا.

---

٢٣ : يبوق رافد من روافد الأردن من جهة الشرق.
٢٥ : فصارعه رجل : رج ٢ ٢٩، ٣١؛ هو ١٢ : ٤.
٢٩ : إسرائيل : الذي صارع مع الله. رج ٣٥ : ١٠
٣٠ : ق قض ١٣ : ١٧ - ١٨
٣١ : فيوئيل أي : وجه ايل، وجه الله

الإيضاحات - أو الاحترازات - المستخدمة مدخلاً لتحليلنا ستكون، والحق يقال، سلبية على الخصوص. ويلزمني، قبل كل شيء، التنبيه إلى أنني لن أعرض في البداية مبادئ وآفاق وقضايا التحليل البنيوي للسرد : فهو ليس علماً بالتأكيد، ولا حتى فرعاً للمعرفة (فهو ليس مادة تعليمية)، لكنه في إطار السيميولوجيا الوليدة، بحثٌ معرفته آخذة في الانتشار، إلى حدّ أنه سيكون من المكرور المعاد عرض مقدّماته عند كلّ تحليل جديد [16]. ثم إن التحليل البنيوي الذي سأعرضه هنا لن يكون خالصاً تماماً؛ صحيح أنني سأرجع أساساً إلى المبادئ المشتركة لدى كلّ السيميائيين الذين يهتمون بالسرد، بل إنني في النهاية سأبرهن كيف أن مقطعنا يلائم تحليلاً بنيوياً كلاسيكياً جداً، يكاد يكون قواعدياً؛ هذه النظرة التقليدية (من وجهة نظر التحليل البنيوي للسرد) ستكون مُبرَّرة أكثر بسبب كوننا نتعامل هنا مع محكي أسطوري قد يكون دخل الكتابة (الكتابة المقدّسة) عبر تراث شفهي؛ لكنني سأسمح لنفسي أحياناً (وربما دائماً في الخفاء) بتوجيه بحثي وجهة تحليل لي به ألفة أكبر : التحليل النصي («نصي» هنا هي إحالة على نظرية النص الحالية، النصّ الذي ينبغي فهمه باعتباره إنتاجاً للدلالة وليس إطلاقاً باعتباره موضوعاً لغوياً تقليدياً يمتلك معنى حرفياً وحيداً)؛ يحاول هذا التحليل النصي أن «يرى» النص في اختلافه - وهذا لا يعني في فرديته المتعالية على كلّ وصف، لأن هذا الاختلاف «منسوج» في أنساق معروفة؛ والنص بالنسبة لهذا التحليل، متورِّط في شبكة **مفتوحة**، هي لانهائية اللغة ذاتها، المُبَنْيَنَة دون سياج؛ إن التحليل النصي يحاول أن يقول لا من **أين** يأتي النص

(النقد التاريخي)، ولا حتى كيفية تركيبه (تحليل بنيوي)، ولكن كيف يتفكّك، ويتفجّر، ويستخصب : أيّ سُبُلٍ نسقية يتبع. أخيراً، احتراز أخير لتلافي أي خيبة أمل : لن يتعلق الأمر، في البحث الذي سيلي، بسجال منهجي بين التحليل البنيوي أو النصي وتفسير الكتاب المقدّس : لا أمتلك أي كفاءة في هذا المجال [17]. سأكتفي بتحليل نص من **سفرالتكوين**، 32 (المسمى تقليدياً **صراع يعقوب مع الملاك**)، كما لوكنت في مرحلة أولى من البحث (وهذا هو الواقع) : ما أعرضه هنا ليس « خلاصة »، ولا حتى« منهجاً » (سيكون ذلك طموحاً مفرطاً وينطوي على نظرة « علمية » للنص ليست هي نظرتي)، بل مجرّد « طريقة عمل » .

1 ـ تحليل المتواليات

يتضمّن التحليل البنيوي إجمالا ثلاثة أنماط ـ أو ثلاثة موضوعات ـ من التحليل، أو، إذا شئنا، يتضمن ثلاث مهمات :

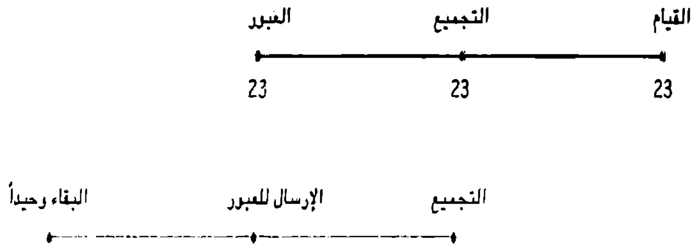
1 ـ القيام بجرْد وتصنيف الصفات « النفسية »، والسِّيرية، والمزاجية، والاجتماعية للشخصيات المشاركة في المحكي (السن، الجنس، الصفات الخارجية، الوضع الاجتماعي أو السلطوي، إلخ)؛ وهذا بنيوياً هو ركن القرائن (إشارات متنوعة التعبير إلى ما لا نهاية، تستخدم لتوصيل مدلول ـ مثلاً « القلق »، « اللطافة »، « القوة » ـ التي يمنحها المحلِّل اسماً في لغته الواصفة، علماً بأن اللفظة اللغوية الواصفة قد لا تكون موجودة مباشرة في النص، الذي لن يستعمل أبداً « القلق» أو « اللطافة »، إلخ. وهذه هي الحالة المعتادة)؛ ولو عقدنا

مُشَاكَلة بين المحكي والجملة (اللسانية)، فإن القرينة تتطابق مع الصفة والنعت (الذي لا ننسى أنه شكل بلاغي)؛ وهذا ما يمكن تسميته **التحليل بالقرائن**.

2 ـ القيام بجرد وتصنيف **وظائف** الشخصيات : ما تفعله نتيجة وضعها السردي، وبوصفها فاعلاً لفعل ثابت : المرسل، الباحث، المرسول، إلخ؛ وعلى مستوى الجملة، فهذا يطابق **اسم الفاعل** : إنه **التحليل العاملي**، الذي كان **غريماس** أول من صاغ نظريته.

3 ـ القيام بجرد وتصنيف الأفعال : إنه مستوى الأفعال [داخل الجملة] ؛ وهذه الأفعال السردية تنتظم،كما نعلم، في متواليات، ومتتاليات مرتبة تبعاً لتصميم منطقي مزعوم (إنه منطق محض أمبريقي، ثقافي، صادر عن التجربة، ولو كانت هذه التجربة موروثة عن الأسلاف، وليس صادراً عن استدلال منطقي) : إنه **تحليل المتواليات**. ونصنا يتلاءم، بإيجاز والحق يقال، مع **التحليل بالقرينة**. فيمكن قراءة الصراع المتشخِّص باعتباره قرينة على قوة يعقوب (المشهود عليها في فصول أخرى من مآثر هذا البطل) : إن القرينة تسوق نحو معنى تأويلي باطني، وهو القوة (التي لا غالب لها) لمن اصطفاه الله. والتحليل العاملي ممكن كذلك : غير أنه لما كان نصنا يتألّف أساساً من أفعال عارضة في الظاهر، فمن المستحسن القيام أساساً بتحليل للمتواليات (أو الأفعال) الموجودة في الفصل مع احتمال أن نربط بذلك في النهاية بعض الملاحظات عن التحليل العاملي. سنقسم النص (وأعتقد أن ذلك سيكون بدون تعسّف) إلى ثلاث متواليات : 1– العبور؛ 2 – الصراع؛ 3 – التسميات.

1.1 ـ العبور (الآيات (23 ـ 25). لنقدم على الفور تصميم متوالية هذا المشهد ؛ هذا التصميم مزدوجٌ، أو على أي حال إذا جاز القول « أَحْوَل » (سنرى برهان ذلك حالاً) :

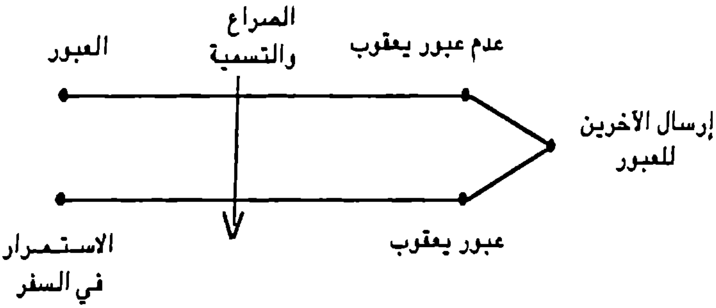


لنلاحظ فوراً أن **القيام** هو بنيوياً مجرد **رمز للابتداء**؛ يمكن القول اختصارا أن **القيام** لا ينبغي أن نفهم منه فحسب أن يعقوب يتحرّك، ولكن أيضاً أن **الخطاب يشرع في الحركة**؛ إن مطلع محكي، أو خطاب، أو نص هو موقعٌ حسّاس جداً : من أين نبدأ؟ يجب انتزاع **المَقُول** من **اللامقُول**؛ ومن ثم بلاغة كاملة عن **مؤشّرات** المَطْلَع. لكن المهمّ هو أن المتواليتين (أو المتواليتين الفرعيتين) تبدوان في حالة إطناب (وربما كان ذلك معتاداً في خطاب ذلك الزمان : يجري عرض معلومة، ثم يتم تكرارها؛ لكن قاعدتنا هي القراءة، لا التحديد التاريخي، أو الفيلولوجي للنص : نحن لا نقرأ النص في « حقيقته » ولكن في « إنتاجه » ـ الذي ليس هو « تحديده »)؛ وذلك فيما يشبه المفارقة فضلاً عن ذلك (إذ أن الإطناب عادة ما يستخدم لانسجام خطاب وتوضيحه وتثبيته)، إذ أننا لما نقرأ النص بعد ألفي سنة من العقلانية الأرسطية (لأن أرسطو هو المُنَظِّر الرئيس للسرد الكلاسيكي)، فإن إطناب المتواليتين الفرعيتين يخلق احتكاكاً

واستعصاء في المقروئية. فتصميم المتوالية يمكن قراءته على طريقتين : أ. يعقوب نفسه يعبر المخاضة. وإن لزم الحال بعد القيام بالذهاب والإياب مرات عديدة.، وإذن يكون الصراع على الضفة اليسرى من مسيل الوادي (فهو قادم من الشمال) **بعد أن عبر المخاضة نهائياً**، وفي هذه الحالة فإن **أرسلهم** تُقرأ : عَبَرَ المخاضة **بنفسه**؛ **ب**. يعقوب يُرْسِل للعبور لكنه لا يَعْبُرُ هو نفسه؛ إنه يُصَارِعُ على الضفة اليمنى ليَبُّوق **قبل أن يعبُر**، في موقع المؤخّرة. إننا لا نبحث عن التأويل **الحقيقي** (وقد يبدو تردّدنا باعثاً على السخرية في نظر المفسِّرين)؛ بل لنستنفد بالأحرى قيدين مختلفين للمقروئية : أ-إذا كان يعقوب قد بقي وحده قبل أن يعبر يَبُّوق فنحن مسوقون نحو قراءة «فولكلورية» للفصل؛ فالمرجعية الأسطورية هنا ساحقة، والقائلة إن اختبار الصراع (مثلاً مع التنِّين أو مع جنّي النهر) يُفرض على البطل قبل أن يجتاز العائق، أي أن انتصاره هو الذي يمكّنه من اجتيازه؛ ب- أما إذا كان يعقوب على العكس من ذلك قد عبر (هو وقبيلته)، ثم بقي بعد ذلك وحده على الجهة الصحيحة من الوادي (جهة البلد الذي يرغب في الذهاب إليه)، فإن العبور لن تكون له قَصْدية بنيوية، وإنما قصدية دينية : فإذا كان يعقوب وحيداً، فليس ذلك لتسوية العبور والحصول عليه، بل **للوَسْم** بواسطة الوحدة (تلك هي **العزلة** المعروفة لمن اصطفاه الله). ويأتي ظرف تاريخي ليضاعف من عدم إمكانية الجزم بين التأويلين: يعقوب ينوي العودة إلى بلده، ودخول أرض كنعان؛ وسيكون حينئذ عبور نهرالأردن مفهوماً أكثر من عبور يبُّوق؛ إننا نجد أنفسنا في نهاية الأمر أمام عبور مكان محايد؛ سيكون هذا العبور «مهماً» لو كان

يعقوب سيظفر به مُغَالَبَةً من جنّي المكان؛ وسيكون لا أهمية له، إذا كان المهم هو الوحدة، ووَسْم يعقوب ؛ غير أنّه قد يكون هنا أَثَرٌ من امتزاج حكايتين، أو على أي حال مرحلتين سرديتين، إحداهما، وهي الأكثر «قدَماً» (بالمعنى الأسلوبي المجرَّد للكلمة) تجعل من العبور ذاته اختباراً؛ والأخرى، الأكثر «واقعية» تعرض مظهراً «جغرافياً» لسَفَر يعقوب، بإيرادها للأماكن التي يجتازها (دون أن تربط بها قيمة أسطورية).

لو نقلنا إلى هذه المتوالية المزدوجة ما يحدث بعد ذلك، أي الصّراع والتَّسمية، فإن القراءة المزدوجة ستستمر، منسجمة حتى النهاية، في كلتي روايتيها، لِنُذكِّرْ مرة أخرى بالرسم البياني :

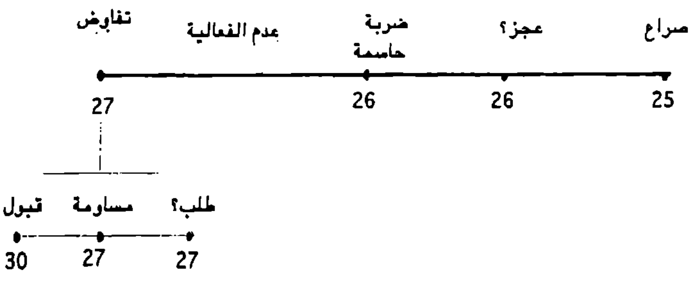


إذا كان الصراع يفصل بين «عدم العبور» و«العبور» (وهي قراءة ذات منحى فولكلوري، أسطوري)، فإنّ تبديل الأسماء يتطابق مع الموضوع ذاته لكل أسطورة اشتقاقية عن أصول الأسماء؛ أما إذا كان الصراع، على العكس من ذلك، مجرّد توقّف بين وضعية سكون (تأمل واصطفاء) وحركة مَسير، فإن لتبديل الاسم قيمة ولادة روحية جديدة («معمودية»)، يمكن تلخيص كل هذا بقولنا إنه يوجد في

هذا المشهد الأول مقروئية للمتوالية وإبهام ثقافي. قد يتأذّى اللاهوتي من هذا الغموض؛ وسيعترف به المفسِّر، متمنّياً أن يتيح له عنصرٌ وقائعي أو استدلالي أن يضع حداً لذلك الغموض؛ أما المحلِّل النصّي، ويجب الاعتراف بذلك، لوحَكَّمْتُ انطباعي، فإنّه سيتذوّق هذا النّوع من الخلاف بين معقولين اثنين.

2.1 ـ الصِّراع (الآيات 25 ـ 30). ينبغي لنا هنا أيضاً، في المشهد الثاني، أن ننطلق من حيْرة (ولا أقول : من شكّ) للمقروئية. من المعلوم أن التحليل النصي يقوم على القراءة أكثر مما يقوم على البنية الموضوعية للنص، المرتبطة أكثر بالتحليل البنيوي. هذه الحيرة ناتجة عن قابلية التبادل والتعارض بين الضمائر العائدة على المشاركين في الصراع :[18] إنه أسلوب قد يصفه الغَيور على نقاء اللغة **بالتعقيد** .لكن غموضه لم يكن دون شك ليُرْبك تركيب الجملة العبْري : مَنْ هو « رجل » ؟ وإذا بقينا في مستوى الآية 26، فهل « الرجل » هو الذي لم يَقْوَ على يعقوب أو يعقوب الذي لم يقوِ على الرجل؟ وضمير الغائب في « لم يقو » (26)، هل هو نفسه الضمير في « وقال » (27)؟ لا شك أن كل شيء سيتضّح في النهاية، غير أنه كان لابدّ لذلك، إذا صحّ القول، من استدلال ارتجاعي ذي نمط قياسي : أنت غلبت الله. والذي يكلّمك هو مَنْ غَلَبْتَهُ. إذن الذي يكلّمك هو اللّه . إن التعرّف على المشاركِين غير مباشر، والمقروئية ملتوية (ومن ثم نصادف أحياناً تفسيرات تكاد تكون لا منطقية؛ مثلاً هذا التفسير : « صارَعَ ضدّ ملاك الربّ، وبعدَ أن صار مغلوباً، تيقَّنَ منه أن اللّه معه »).

بنيوياً، هذا الالتباس، حتى وإن توضّح فيما بعد، فهو لا يخلو من دلالة؛ إنه، في رأينا (الذي أكرِّر أنه رأي قارئ اليوم)، ليس مجرّد اضطراب في التعبير ناتج عن أسلوب حُوشِيٍّ، يتشبّه بالقديم؛ بل هو مرتبط ببنية مناقضية للصراع (مناقضية بالنظر إلى النمط المَسْكُوك للمعارك الأسطورية). ومن أجل تقدير للمناقضة في رهافتها البنيوية، لنتخيَّل للحظة قراءةً سَوِيَّةً (لا مناقضية) للمشهد : أ يُصَارِع ب، لكنه لايقوى عليه ؛ ولأجل الظفر مهما كلّف الثمن، يلجأ أ إلى تقنية استثنائية في الصراع، سواء كانت ضربة دنيئة، غير نزيهة، وبكلمة واحدة ضربة محظورة (مثل الضربة بالساعد على الحنجرة في مباراة المصارعة)، أو أن تلك الضربة، مع كونها سليمة، تقتضي عِلْماً خفياً، و« حيلة »؛ مثل هذه الضربة، المُسَمَّاة عموماً ضربة « حاسمة »، تمنحُ الغَلَبَة، **بمنطق المحكي ذاته**، لمن يُسَدِّدُها : إن الوَسْم الذي تكون تلك الضربة بنيوياً موضوعاً له لا يمكن أن يتوافق مع عدم فعالية تلك الضربة : يجب، وفقاً لإرادة إله السرد، أن تنجح. لكن العكس هو ما يحصل هنا : تفشل الضربة الحاسمة؛ و أ الذي سددها ليس هو الغالب : تلك هي المناقضة البنيوية. وهكذا تأخذ المتوالية مساراً غير متوقَّع :



نلاحظ أن أ (ولايهم من وجهة نظر البنية، أن يكون ضميراً مجهولاً، أو رجلاً، أو الله، أو الملاك) لم يُهزم في الحقيقة بل **أُوقفَ**، ولكي يتمّ ظهور الإيقاف بمظهرالهزيمة، لابد من إضافة **حدّ للزمن** : إنه طلوع النهار (« طلع الفجر »، 27)؛ هذه الإشارة تُكَرِّر الآية 25 (« حتى طلوع الفجر »)، لكن هذه المرّة في الإطار الصريح لبنية أسطورية : تيمة المعركة الليلية مبرَّرة بنيوياً بواقع أنه في لحظة معيَّنة، متوقَّعة سلفاً (كما هو حال طلوع الشمس، وكما هو حال المدّة الزّمنية لمباراة في الملاكمة)، لن تعود قواعد الصراع سارية المفعول : ستتوقف اللعبة فوق الطبيعية أيضاً (« الشياطين » تنسحب في الفجر). ومن هنا نرى أن المتوالية تجعل داخل معركة « سَوِيَّة » مقروئيةً غير متوقّعة، ومفاجأة منطقية : إن الذي يمتلك الدراية بالضربة وسرِّها وخصوصيتها، هو المغلوب. وبعبارة أخرى، إن المتوالية نفسها، مهما كانت مرتبطة بالفعل وبالحدث، فوظيفتها هي أنْ **تُخِلَّ بتوازن** المشاركيْن في المعركة، ليس فحسب بالانتصار غير المنتظر لأحدهما على الآخر، وإنما على الخصوص (لنتفهم جيداً الرهافة الشكلية لهذه المفاجأة) بالطابع اللامنطقي، المنعكس، لهذا الانتصار؛ بعبارة أخرى (وهنا نصادف مصطلحاً بنيوياً للغاية، معروفاً جيداً لدى اللسانيين)، فالصراع، كما ينعكس في مساره غير المنتظر، يَسِمُ أحد المتصارعيْن: **الأضعف** يتغلّب على الأقوى، **وفي مقابل ذلك**، يُوَسُم (على وَرِكِه).

من المستساغ (لكننا هنا نحيد شيئاً ما عن التحليل البنيوي المحض ونقترب من التحليل النصي، الذي هو نظرة **دون حواجز إلى المغاني**) أنْ نَمْلأ ترسيمة الوَسْم (ترسيمة فقدان التوازن) بمضامين من نمط

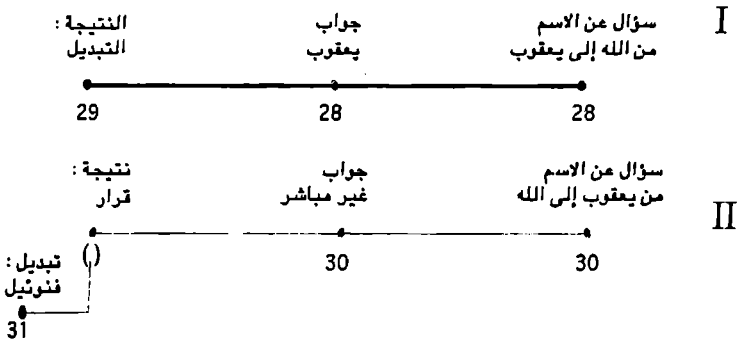
إثنولوجي. إن المعنى البنيوي للمشهد، كما نكرّر ذلك مرّة أخرى، هو الآتي : وضعية توازن (الصراع في بدايته) ـ وهذا الموقف ضروري لكل وَسْم : إن زهد **إغناسيودي لُويُولا**[19]، مثلاً، وظيفته هي إحلال **سكينة** الإرادة، التي تتيح الوسم الإلهي، والاختيار، والاصطفاء ـ تضطرب تلك الوضعية بالانتصار غير المستحقّ لأحد المشاركيْن : نجد هنا عكساً للوسم، ووسماً مضاداً. لنرجع إلى التشكيل العائلي : تقليدياً، يكون وضع الإخوة مبدئياً متوازناً (جميعهم على مستوى واحد بالنسبة للأبوين) : لكن المساواة بين الأبناء يُخِل بتوازنها حقُّ البكورية : الابن البكر يكون موسوما، والحال أنه في قصة يعقوب، يوجد عكس للوسم، ووسم مضاد : الابن الأصغر هو الذي يأخذ مكان الابن البكر (سفر التكوين 27. 36)، ويمسك بعقب الأخ لإرجاع الزمن إلى الوراء : إنه الابن الأصغر، يعقوب هو الذي يَسِمُ نفسه. ولما كان يعقوب قد تلقى الوسم في صراعه مع الله، يمكن القول على نحو ما أن أ (الله) هو بديل الأخ الأكبر، الذي تَغَلَّبَ عليه الابن الأصغر مرة أخرى : إن النزاع مع عيسو قد **أُزيح** (كل رمز هو **إزاحة**، وإذا كان « الصراع مع الملاك » رمزياً، فذلك لأنه قد أزاح شيئاً ما). إن تفسير **الكتاب المقدّس** – وتنقصني الكفاءة لذلك –سيكون عليه هنا توسيع تأويل انقلاب الوسم : بوضعه إما في حقل تاريخي اقتصادي ـ عيسو هو الذي تَسَمَّى باسمه الأَدُومِيون، وكانت توجد روابط اقتصادية بين الأدوميين والعبرانيين، وربما كان هذا الصّراع يُشخِّص انقلاباً في التحالفِ وانطلاق خط جديد من المصالح؟ وإما في حقل رمزي

(بالمعنى التحليلي النفسي) . يبدو أن عالم التوراة ليس عالم الآباء بقدر ما هو عالم الإخوة الأعداء: يُقْصَى الأبناءُ الكبار لفائدة الأبناء الصغار، وقد أشار فرويد في أسطورة الإخوة الأعداء إلى التيمة النّرجسية للاختلاف الأَدْنَى: أليست الضربة على الورك، على هذا العرق الدقيق، هي **الاختلاف الأدنى** ؟ مهما يكن، فإن الله في هذا العالم، يُمَيِّزُ أصغرَ الأبناء إنه يتصرّف ضد الطبيعة: وظيفته (البنيوية)، هي كونه **واسما مضاداً**.

وحتى ننتهي من مشهد الصراع والوسم هذا الشديد الثراء، أريد أن أبدي ملاحظة ذات طابع سيميائي. رأينا أنه في ثنائي التصارعيْن، الذي هو ربما ثنائي الأخوين، فإن الأخ الأصغر موسوم في آن واحد بانقلاب ميزان القوى المتوقع، وبعلامة جسدية هي العرج (وهذا يُذكّر بأوديب، المنتفخ القدم، الأعرج) [20]. ومن المعلوم أن الوَسْم (أو التميُّز) يخلق المعنى، ففي التشخيص الفونولوجي للغة، يختل توازن « المتساوي » الاستبدالي لفائدة طرف موسوم، عن طريق حضور سمة تظلّ غائبة عن الطرف الآخر المترابط والمتعارض معه : إن الله (أو السَّرد) بوسمه ليعقوب (إسرائيل) يتيح تطوراً باطنياً روحياً للمعنى: لقد خلق الشروط الشكلية لاشتغال « لغة » جديدة يكون اختيار إسرائيل هو « رسالتها » . إن الله خالق لغة، ويعقوب هنا هو « مورفيم » هذه اللغة الجديدة.

1 3 ـ التَّسْميات أوالتبديلات (الآيات 28 ــ 33) . إن موضوع المتوالية الأخيرة هو استبدال الأسماء، أي تأسيس قوانين جديدة، وسلطات جديدة؛ والتسمية مرتبطة طبعاً بالمباركة: إن منح البركة

(أي تَقَبُّلَ وَلاءِ مُتَضَرِّع يجثو على ركبتيه) ومنح التسمية هي من أفعال السيِّد . توجد تسميتان :



التبديل يتناول الأسماء، لكن الحقيقة هي أنّ المشهد بأكمله يشتغل باعتباره **خلقا لأثَرٍ متعدِّد** : في جسد يعقوب، وفي وضعية الأخوين، وفي اسم يعقوب، وفي اسم المكان، وفي الطعام (خلق مُحَرَّمٍ غذائي : يمكن تأويل القصة بأكملها في الحد الأدنى باعتبارها تأسيساً أسطورياً لتحريم غذائي) . إن المتواليات الثلاث التي حللناها هي متواليات متجانسة : يتعلق الأمر في الحالات الثلاث **بعبور**: عبور للمكان، ولنظام الأسرة، وللاسم ولطقوس الطعام: وهذا كله يظل قريباً جداً من نشاط لغوي، ومن انتهاكٍ لقواعد المعنى .

هذا هو تحليل المتواليات (أو الأفعال) في فصلنا . حاولنا، كما هو واضح، أن نظل دائما على مستوى البنية، أي الارتباط المتبادل للعناصر المعينة لفعل من الأفعال، وإذا ما كان قد حدث لنا أن نورد بعض المعاني الممكنة، فليس ذلك لمناقشة احتمالية هذه المعاني، بل بالأحرى لنشير إلى كيفية «بَذْرِ» البنية لمضامينها ـ هذه المضامين التي

بإمكان كلِّ قراءة أن تتكفّل بها. إن غرضنا ليس الوثيقة الفيلولوجية أو التاريخية، الحاملة لحقيقةٍ ينبغي البحث عنها، بل موضوعنا هو كتلة النص، و**دلاليته**.

2ـ التحليل البنيوي

لما كان التحليل البنيوي الآن في طور التكوين (بواسطة **پروپ**، و**ليڤي ـ ستروس**، و**غريماس**، و**بريمون**)، فإنّني أريد ختاماً أن أقابل نصّنا مع ممارستين للتحليل البنيوي، حتى أُظْهِر أهمية هاتين الممارستين رغم أن بحثي الشخصي يتخذ اتجاها مختلفا قليلا [21]: وأقصد بذلك التحليل العاملي عند **غريماس** والتحليل الوظيفي عند **پروپ**.

1.2 ـ **التحليل العاملي** : إن الشبكة العاملية التي صاغها **غريماس**[22] ـ والتي ينبغي، حسب قول المؤلف نفسه، استخدامها بحذر ومرونة ـ توزّع الشخصيات، ممثلي المحكي، في ستة أصناف شكلية من العوامل، يتحدَّدون بما يفعلونه تبعاً لوضعيتهم لا بكينونتهم السيكولوجية (يمكن للعامل أن تتجمّع فيه عدة شخصيات، وقد يتجسّد كذلك في كيان جامد غير بشري). إن الصراع مع الملاك يُشكِّل فصلاً معروفا جداً في المحكيات الأسطورية : عبور العائق، والاختبار. وعلى مستوى هذا الفصل الذي نُحَلِّله (فقد يكون الأمر مختلفاً ربّما فيما يخصّ قصّة مآثر يعقوب)، فإن العوامل «تتعبأً» بالطريقة التالية : يعقوب هو **الفاعل** (فاعل الطلب، والبحث، والفعل) ؛ **الموضوع** (موضوع هذا الطلب، والبحث، والفعل) هو عبور مكان محروس، محظور، هو وادي يَبُّوق؛ **المرسِل** الذي يضع

في التداول رهان البحث (أي عبور الوادي) هو طبعاً الله؛ **المرسَل إليه** هو مرة أخرى يعقوب (عاملان هنا يتواجدان في شخصية واحدة؛ **المُعَوِّق** (ذاك أو أولئك الذين يعيقون الفاعل في بحثه). هو الله ذاته (هو الذي أسطورياً يحرس المَعْبَر)؛ **المساعد** (ذاك أو أولئك الذين يساعدون الفاعل)، هو يعقوب، الذي يساعد نفسه بواسطة قوّته الذاتية، الأسطورية (وهي سِمَةٌ قَرِينيَّة كما رأينا). تتَضح لنا فوراً المناقضة، أو على أي حال الطابع غير السَّويّ للصيغة: أن يمتزج الفاعل بالمرسل إليه هو شيء عادي، أمّا أن يكون الفاعل هو مساعد نفسه فهذا أكثر نُدْرَةً، إن هذا يحدث عادة في المحكيات والروايات القائمة على «أولوية الإرادة»، لكن أن يكون المرسِل هو المُعوِّق، فهذا نادر جداً؛ لا يوجد سوى نمط من المحكي بإمكانه أن يشخص هذه الصيغة المناقضة: المحكيات التي تروي عن عملية ابتزاز؛ حقاً، لو كان المعوِّق مجرّد حائز (مؤقَّت) على الرِّهان، فلا غرابة في الأمر إذ أن ذلك هو دور المعوِّق في الدفاع عن حيازته للموضوع الذي يريد البطل الحصول عليه، وتلك هي حال التنّين الذي يحرس معبراً، لكن الحال هنا كما في كلّ ابتزاز، هي أن الله في الوقت الذي يحرس فيه الوادي، فإنه هو واهب الوَسْم، والامتياز. وهكذا نرى أن الصيغة العاملية لنصّنا بعيدة عن أن تكون باعثة على إعادة السلام والسّكينة - إنها بنيوياً جريئة جداً - مما يتطابق جيداً مع «الفضيحة» المتجسّدة في هزيمة الربّ.

2.2 - **التحليل الوظيفي**: من المعلوم أن **پروپ** هو الأوّل [23] الذي وضح بنية الحكاية الشعبية، موزِّعاً فيها **الوظائف**[24]، أو الأفعال

السردية. إن الوظائف، حسب پروپ، هي عناصر ثابتة، محدودة العدد (إحدى وثلاثون وظيفة)، وتسلسلها دائماً متشابه، حتى وإن كانت بعض الوظائف غائبة أحياناً عن هذ المحكي أو ذاك. والحال أن نصّنا ـ وهو ما سنراه حالاً ـ يتوافق تماماً مع جزء من هذه الترسيمة الوظيفية التي صاغها پروپ: ما كان هذا المؤلف ليتصوّر تطبيقاً لا كتشافه أشدّ إقناعاً.

في القسم التمهيدي من الحكاية الشعبية (كما حلّلها پروپ)، يحصل بالضرورة غياب للبطل، وهذا ما يحدث في قصة مآثر يعقوب: إسحق يرسل يعقوب بعيداً عن وطنه، عند لابان (تكوين 28، 2 و5). وفصلنا يبدأ حقّاً عند رقم 15 من الوظائف السردية عند بروب؛ و إذن سَنُرَمِّزُ بالطريقة التالية، مبرزين في كلّ مرّة التّوَازي المدهش بين ترسيمة پروپ ومحكي سفر التكوين:

پروپ والحكاية الشعبية:	تكوين
15. تَنَقُّل في المكان (بواسطة طيور، أو خيول، أو مراكب... إلخ).	انطلق يعقوب من الشمال، من عند الآراميين، ومن عند لابان، وتنقّلَ ليعود إلي وطنه، إلى أبيه (1.29، يعقوب يبدأ مسيره).
16. البطل والمعتدِي عليه يتبارزان في معركة.	تلك هي متوالية الصراع (28 - 25.32).
17. يتلقّى البطل وَسْماً (يتعلق الأمر عموماً بوسْم على الجسد،	يُوسَمُ يعقوب على وركه (33 - 26.32).

لكن في حالات أخرى، يتلقى فحسب هِبَةَ حِلْيَةٍ، أو خاتم).	
18 ـ انتصار البطل، هزيمة المعتدي.	انتصار يعقوب (27.32).
19 ـ إصلاح الإساءة البدنية أو النقص: الإساءة البدنية أو النقص قد حصلا أثناء الغياب البَدْئي للبطل: وقد أزيل هذا الغياب.	بعد أن نجح يعقوب في عبور فنوئيل (32.32)، يصل إلى شكيم في أرض كنعان (18.33).

توجد نقاطُ تَوَازٍ أخرى. في الوظيفة 14 عند **بروب**، يتلقى البطل أداة سحرية، وبالنسبة ليعقوب ؛ فهذه التميمة هي دون شكّ البَركة التي انتزعها مكراً من والده الأعمى (تكوين، 27). ومن جهة أخرى، فالوظيفة 29 تُشخِّص تَغَيُّرَ هيأة البطل (مثلاً الوحش يتحوّل إلى سيِّد جميل)، ويبدو أن تغيّر الهيأة هذا حاضرٌ في تغيّر الاسم (تكوين، 29.32) والولادة الجديدة التي يقتضيها. صحيح أن النموذج السردي يرسم للربّ دور المعتدي (هذا هو دوره البنيوي: فالأمر لا يتعلق بدور سيكولوجي): ذلك أنه، في هذا الفصل من **التكوين**، من الممكن قراءة تركيب مسكوك حقيقي يُصَادَف في الحكاية الشعبية: العبور العسير لمخاضة يحرسها جنّي عدواني. وهناك تشابه آخر مع الحكاية، وهو إغفال ذكر حوافز الشخصيات (سبب فعلها) في كلتي الحالين: فالتحليل البنيوي، بالمعنى الحصريِ للكلمة، قد يَسْتَخْلِصُ

إذن بقوّة أنّ **الصراع مع الملاك** هو حكاية خرافية حقيقية ـ لأنه حسب **بروب**، كل الحكايات الخرافية تنضوي ضمن بنية بعينها: هي تلك التي وصفها.

نرى إذن أنّ ما يمكن تسميته بالاستثمار البنيوي للفصل ممكن جداً: بل إنه يفرض نفسه. لكنني سأقول، كي أختم، إن ما يهمني أكثر في هذا المقطع المشهور، ليس النموذج «الفولكلوري»، بل استعصاءات المقروئية، وانفصاماتها، وانقطاعاتها، وتَجاُوَر كيانات سردية تنفلت بعض الانفلات من تمفصل منطقي صريح: إننا هنا (هذا على أي حال بالنسبة لي هو مذاق القراءة) أمام نوع من **توليف كنائي**: فالتيمات (العبور، الصّراع، المُحَرَّم الغذائي) هي هنا **مُركَّبَةٌ** كما تتركّب عناصر متجاورة، وليست «مُفَصَّلَةً». وهذه الصياغة المتقطِّعة، هذا الحذف للروابط في السرد قد عَبَّر عنه النبيّ هوشع (سفر هوشع، 12 3 ـ 4): «فيعقوب، وهو بعد في البطن، قَبَضَ على عَقِبِ أخيه / وفي أوان رجولته صارع اللّه. صارع الملاك وقاوم.» والمنطق الكنائي كما نعلم هو منطق اللا وعي. ربما في هذا الاتجاه كان ينبغي متابعة البحث، أي، وأكرِّر ذلك مرة أخرى، **قراءة** النص، وانبذاره، لا حقيقته. صحيح أنّ في هذا، خطر التقليل من أهمية الفصل الاقتصادية ـ التاريخية (وهي بالتأكيد موجودة على مستوى مبادلات القبائل وقضايا السلطة)؛ لكن ذلك البحث سيدعم التفجّر الرمزي للنص (الذي ليس بالضرورة ذا طابع ديني). إن المشكلة، على أي حال كما أطرحها على نفسي، هي التوصل إلى عدم اختزال النص إلى مدلول وحيد، مهما يكن (تاريخيا، أو اقتصاديا، أو فولكلورياً، أو مرتبطاً بالدعوة الدينية)، بل الحفاظ على دلاليته مفتوحةً.

هوامش الفصل الثاني

16 ـ انظر في هذا الموضوع (وفي علاقة بتفسير الكتاب المقدس) :

Roland Barthes, l'analyse structurale du récit : à propos d'actes 10-11, Exégèse et Herméneutique, Paris, 1971,P 181-204.

[انظر الدراسة السالفة في هذا الكتاب المترجم]

17 ـ أريد التعبير عن امتناني لجان الكسندر، الذي كانت كفاءته التفسيرية، واللسانية والسوسيوتاريخية، وانفتاح ذهنه معينة لي على فهم النص المحلل ؛ وكثير من أفكاره حاضرة في هذا التحليل ؛ لكن خشيتي أن أكون قد حرّفتها تمنعني من الإشارة إليها في كل مرة.

18 ـ هذا التعقيد والإبهام موجودان في الترجمة الفرنسية لـ **الكتاب المقدس** التي اشتغل عليها بارث، ولكن ترجمات فرنسية أخرى والترجمة العربية التي أثبتناها في مطلع هذه الدراسة لا تتضمن هذا التعقيد، وتعوض الضمير بكلمة "رجل" التي تزيل الغموض تركيبيا ونحويا لكنها لا تمحوه دلاليا [المترجم].

19 ـ إغناسيودي لويولا (1491-1556)، راهب وكاتب مسيحي أسس نظام اليسوعيين في باريس سنة 1534 [المترجم].

20 ـ هذا هو اشتقاق اسم أوديبوس في اللغة اليونانية [المترجم].

21 ـ إن عملي على قصة بلزاك، سرازين، هو أقرب إلى التحليل النصي منه إلى التحليل البنيوي، انظر

R. Barthes, S/Z, Paris, Ed du Seuil , 1970

22 ـ انظر على الخصوص : A. J Greimas, **Sémantique structurale**, Paris,larousse, 1966 ; et **du sens**,Paris, Éd du Seuil 1970

23 ـ فلاديمير بروب، **مورفولوجية الخرافة**، ترجمة وتقديم إبراهيم الخطيب، الرباط، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، 1986.

24 ـ كلمة "وظيفة" للأسف دائما ملتبسة، استعملناها في البداية لتعريف التحليل العاملي الذي يحكم على الشخصية بحسب دورها في الفعل (تلك هي "وظيفتها") ؛ وفي مصطلح بروب، يتم نقل الوظيفة من الشخصية إلى الفعل ذاته، باعتباره مرتبطا بالأفعال المجاورة له.

◆◆◆

الفصل الثالث

تحليل نصي لحكاية من حكايات إدغار آلن پو

التحليل النصي

التحليل البنيوي للسرد هو الآن في طور التكوُّن. وكلُّ الأبحاث فيه لها منشأ علمي واحد : السيميولوجيا أو علم الدلالات؛ لكن تلك الأبحاث تُبْدِي سلفاً عن اختلافات فيما بينها (وهذا أمر جيّد)، وفقاً للنظرة النقدية التي ينظر من خلالها كل واحد إلى وضع السيميولوجيا العلمي، أي إلى خطابه العلمي الخاص. هذه الاختلافات (البنّاءة) يمكن أن تتوحّد في اتجاهين كبيرين : يرى الاتجاه الأوّل أن التحليل، أمام كل محكيات العالم، يحاول تأسيس نموذج سردي، شكلي طبعاً، أي بنية السرد أو قواعده، وانطلاقاً منها (بعد إيجادها) يمكن لكلّ محكي منفرد أن يتم تحليله باعتباره انزياحات عن النموذج السردي؛ ويرى الاتجاه الثاني أن المحكي يندرج

مباشرة (وعلى أي حال إذا كان منسجماً معه) تحت مفهوم « النص »، وهو فضاء، وسيرورة دلالات تشتغل، وبكلمة واحدة : **الدلالية** (سنعود في الأخير لهذه الكلمة)، ويُنظر إلى النص لاباعتباره إنتاجا في طور التكوّن، « موصولا » بنصوص أخرى، وأنساق أخرى (ذلك هو التناص)، وبهذه الطريقة فهو متمفصل مع المجتمع، والتاريخ، لا بحسب طرائق حتمية، بل اقتباسية. لابد إذن، بوجه من الوجوه، تمييز التحليل البنيوي عن التحليل النصي[25]، دون أن نعني بالقول هنا إنهما متعارضان : إن التحليل البنيوي بحصر المعنى ينطبق خصوصاً على المحكي الشفهي (على الأسطورة)؛ أما التحليل النصي، الذي سنحاول ممارسته في الصفحات التالية، فهو ينطبق حصرياً على المحكي المكتوب.

لا يحاول التحليل النصي وَصْفَ بنية عمل أدبي، لا يتعلق الأمر بترسيم بنية، بل بالأحرى إنتاج بَنْيَنَةٍ متحرٌكة للنص (بنينة تنتقل من قارئ إلى آخر عبر التاريخ)، والمكوث في كتلة العمل الأدبي الدلالية، وفي دلاليته. لا يحاول التحليل النصي معرفة بماذا يتحدّد النصّ (باعتبار أنّه قد تَمَّ تجميعه لغاية سببية)، بل بالأحرى كيف يتفجّر ويتبدّد. سنأخذ إذن نصاً سردياً، محكياً، وسنقراه، بكلّ مايلزم من التمهّل، متوقّفين في كلّ مرة كلّما دعت الضرورة (إن الحريّة بُعْدٌ رئيس في عملنا)، محاولين أن نكتشف ونصنّف دونَ **مبالغة في الدّقة** لاجميع معاني النص (سيكون ذلك مستحيلاً لأن النص منفتح لانهائياً : لا قارئ، ولاذات، ولاعلم بإمكانه إيقاف النص)، بل إننا سنكتشف ونصنّف الأشكال، والأنساق، التي تصير بها المعاني

ممكنة. سنكتشف مسالك المعنى. إن هدفنا ليس العثور على المعنى الوحيد، ولا حتى على أحد معاني النص، فعملنا لا ينتسب إلى نقد أدبي من نمط تأويلي (يحاول تأويل النص، وفقاً لحقيقة يعتقدها كامنة في ذلك النص)، كما هو الحال مثلاً في النقد الماركسي أو النقد التحليلي النفسي. إنّ هدفنا هو التوصّل إلى أن نتصوّر، ونتخيل، ونعيش تعدّدية النص، وانفتاح دلالته. فَرِهَانُ هذا العمل لا ينحصر إذن، كما يبدو، في معالجةٍ أكاديميةٍ للنصّ (ولو كانت تُعْلِنُ عن منهجيتها)، ولا ينحصر حتى في الأدب عموماً.

إنه مرتبط بنظرية، وممارسة، واختيار، تجد نفسها متورّطة في صراع البشر والعلامات.

ومن أجل إنجاز التحليل النصي لمحكي واحد، سنتّبع عدداً معيّناً من الترتيبات الإجرائية (لِنَقُلْ : قواعد أوّلية للمعالجة، بدل مبادئ منهجية : سيكون القول طموحاً أكثر مما يجب، وعلى الخصوص قابلا للنقاش إيديولوجياً، بالقدر الذي تعني فيه كلمة «منهج» في أغلب الأحيان مصادرة على نتيجةٍ مِنْ نَمَطٍ وَضْعَوِيّ). سنختزل هذه الترتيبات إلى أربعة إجراءات سنعرضها بإيجاز، مفضّلين فَسْحَ المجال للنظرية ضمن تحليل النص ذاته. وسنورد الآن فحسب ماهو ضروري للشروع بأسرع ما يمكن في تحليل الحكاية التي اخترناها.

1 ـ سنقوم بتقطيع النص الذي اقترحته لدراستنا إلى مقاطع متجاورة وعموماً قصيرة جداً (جملة، جزء من جملة، وفي الحدّ الأقصى مجموعة من ثلاث أو أربع جُمل)؛ وسنرقّم هذه الشذرات ابتداء من 1 (يوجد 150 مقطعاً في مساحة حوالي العشر صفحات).

هذه المقاطع هي وحدات للقراءة لذلك سمّيتُها وحدات قرائية[26].

إن الوحدة القرائية هي بالطبع دالٌّ نصي؛ لكن لمّا كان هدفنا هنا ليس اعتبار الدّوال (عِلْمُنَا ليس أسلوبياً)، وإنما اعتبار المعاني، فليس للتقطيع أن يقوم على أساس نظري (بما أننا في **الخطاب**، لا في **اللغة**، فليس علينا أن نتوقع وجود مُجَانَسَةٍ سهلة الإدراك بين الدال والمدلول، إننا لا نعرف كيف يطابق أحدهما الآخر، ونتيجة لذلك علينا القبول بتقطيع الدال دون أن نكون مُوَجَّهين بالتقطيع الخفيّ للمدلول). والخلاصة أن تجزئة النص السردي إلى وحدات قرائية هي مسألة تجريبية خالصة، يقتضيها اعتبارٌ للسّهولة : الوحدة القرائية منتوج اعتباطي، إنها مجرّد مقطعٍ نُلاَحِظ داخله توزيعَ المعاني؛ ذلك ما يُسمّيه الأطبّاء الجرّاحون حقل العمليات : الوحدة القرائية المفيدة هي المتضمِّنة لمعنى واحد، أو اثنين أو ثلاثة (مُنَضَّدَةٍ في كتلة تلك القطعة من النص).

2 - في كل وحدة قرائية، سنلاحظ المعاني المثارة فيها. و**المعنى** لا نقصد به طبعاً معنى الكلمات أو مجموعات الكلمات، كما يُعَرِّفُها المعجم أو قواعد اللغة، أي التي تقتضيها معرفة اللغة. نقصد بالمعنى **إيحاءات** الوحدة القرائية ، أي المعاني الثانية. وهذه المعاني الإيحائية قد تكون **ترابطات** (مثلاً : إن الوصف الجسدي لإحدى الشخصيات، المُمْتَدٍّ على عدّة جمل، قد لا يكون له سوى مدلول إيحائي واحد هو «القلق» رغم أن هذه الكلمة قد لا تكون موجودة على مستوى التعيين، أو المعاني الأولى، أي في النص)؛ وقد تكون أيضاً **علاقات**، ناتجة عن تعالُق بين موضعيْن في النص، أحياناً

متباعدين جدا (إن فعلا يبدأ هنا، قد يكتمل، وينتهي هناك، في موضع من النص بعيد جداً). ستكون وحداتنا القرائية، إن جاز القول، مناخل رهيفة جهد المستطاع، بفضلها «ننخل» المعاني، والإيحاءات.

3 ـ سيكون تحليلنا متدرّجاً : سنجوب خطوة فخطوة مساحة النص، افتراضياً على أي حال، ذلك أننا، لضيق المجال لا نستطيع أن نعرض هنا سوى شذرتين من التحليل، وهذا يعني أننا لا نتغيّا استخراج كُتَل النص الكبرى (البلاغية؛ لن نبني تصميماً للنص ولن نبحث في تيماته؛ وبكلمة واحدة، لن نقوم بشرح للنص، فيما عدا لو أعطينا لكلمة «شرح» مدلولها الاشتقاقي، أي بالقدر الذي نقوم فيه بتشريح النص، وطبقات النص. سنترك لتحليلنا مسار القراءة ذاتها : غير أن هذه القراءة ستكون، على نحو مّا، مُصَوَّرَةً بالتصوير البطيء. هذه الطريقة في الإجراء هامّة نظرياً : إنها تعني أننا لا نستهدف تشكيل بنية النص، بل اقتفاء بنيته، وأننا نعتبر بَنْيَنَةَ القراءة أهمّ من بنينة التأليف (التي هي مفهوم بلاغي وكلاسيكي).

4 ـ أخيراً، لن نهتم كثيرا إذا ماكنّا أثناء كشفنا «نُغْفِلُ» بعض المعاني. إغفال المعاني يُشَكِّلُ على نحو ما جزءاً من القراءة. ما يهمّنا هو أن نشير إلى منطلقات المعنى، لا إلى نقاط وصول (أليس النصّ، في الحقيقة، مجرد انطلاق؟)، مايقوم في أساس النص، ليس بنية داخلية، مغلقة، قابلة للحساب، بل مَنْفَذ نصّ على نصوص أخرى، وأنساق أخرى، و علامات أخرى؛ ما يُكَوِّن النصّ هو التناص، لقد أخذنا نلمح (بفضل علوم أخرى) أن البحث ينبغي له أن يتآلف

مع اقتران فكرتين كانتا تبدوان لزمن طويل، متناقضتين : فكرة البنية وفكرة لانهائية التركيب؛ إن المواءمة بين هاتين المصادرتين تفرض نفسها علينا الآن، لأنّ اللّغة، التي بدأنا نعرفها معرفة أفضل، هي في الآن ذاته لانهائية ومُبَنْيَنَةٌ.

هذه الملاحظات تكفي، فيما أعتقد، للشروع في تحليل النص (ينبغي دائما أن نستسلم لتلهّف النصّ، وأنْ لا ننسى أبداً، مهما كانت ضرورات الدّراسة أنّ **لذة** النص هي قانوننا) .النص المختار محكي قصير **لإدغار پو** ، في ترجمة **بودلير** : **الحقيقة عن حالة السيد ڤالدمار**[27]. إنّ اختياري، الواعي على أيّ حال لأنه قد يكون لاوعيي هو الذي اختاره، قد أملاه اعتباران تعليميان : كنت في حاجة إلى نص قصير جداً من أجل التحكّم تماماً في الفضاء الدّال (سلسلة الوحدات القرائية)، وشديد الكثافة رمزياً، بحيث يفعل فينا النص المحلَّل باستمرار، بصرف النظر عن كل اعتبار خاص : ومن ذا الذي لن ينفعل بنصٍّ يكون الموت، هو «موضوعه» الصريح؟

وللصّراحة، عليَّ أن أضيف : إننا، ونحن نحلّل دلالية النص، سنمتنع قصداً عن معالجة بعض القضايا : لن نتحدّث عن المؤلِّف، **إدغار پو**، ولا عن التاريخ الأدبي الذي يندرج فيه : ولن نأخذ بالحسبان أن الاشتغال سيكون على ترجمة : سنأخذ النص كما هو، كما نقرأه، دون أن نهتم إن كان، في كلية من كليات الجامعة، سيدخل ضمن دائرة اختصاص دارسي الأدب الأنجليزي أكثر من دارسي الأدب الفرنسي أو الفلاسفة. هذا لا يعني بالضرورة أنّ هذه القضايا لن تتسرّب إلى تحليلنا، إنها، على العكس، **ستتسرَّب**، بالمعنى

الحَرْفي للكلمة : إنّ التحليل **اختراق** للنص؛ وهذه القضايا يمكن كشفها بوصفها **اقتباسات** ثقافية، ومنطلقات نسق، لا تحديدات.

كلمة أخيرة، ربما كانت أشبه بتعويذة أوتعزيمة : النصّ الذي سنحلله ليس غنائياً ولا سياسياً، لا يتحدث عن الحب ولا عن المجتمع، إنه يتحدّث عن الموت. وهذا يعني أنّ علينا أن نرفع رقابة خاصة : تلك المرتبطة بالشُّؤْم. سنقوم بذلك مقتنعين أن كلّ رقابة تسدُّ مَسَدَّ الرقابات الأخرى : فالحديث عن الموت خارج كلّ ديانة، يعني في آن واحد رفع التحريم الديني والتحريم العقلاني.

تحليل الوحدات القرائية 1 إلى 17

١ ـ الحقيقة عن حالة السيّد ڤالدمار

٢ ـ أن تكون حالة السيّد ڤالدمارالخارقة قد أثارت النقاش، فذلك لا يدعو حقاً للاندهاش. ستكون معجزة لو لم يكن الأمر كذلك، خصوصاً في مثل تلك الظروف. ٣ ـ إن رغبة كلّ الأطراف المعنية أن يظلّ الأمر سرّاً، على الأقلّ في الوقت الحاضر، بانتظار فرصة تحريّات جديدة، وجميع جهودنا للنجاح في ذلك، قد أفسحت المجال ٤ ـ لرواية مبتورة أو مُبالَغ فيها ذاعت بين الجمهور، والتي بتقديمها للقضية في أَمْقَتِ مظاهر الزَّيْف قد صارت بالطبع مصدراً لتكذيب شديد.

٥ ـ وقد صار من اللازم الآن أنْ أعرض الوقائع، على الأقلّ بقدر ما فهمته منها. ٦ ـ وهاهي بإيجاز :

٧ ـ انجذب اهتمامي، في هذه السنوات الثلاث الأخيرة، مرّات عديدة نحو التنويم المغنطيسي؛ ٨ ـ ومنذ حوالي تسعة أشهر، أثارت انتباهي فجأة فكرة أنّه في سلسلة التجارب التي أُجْرِيَت حتى اليوم،

٩ ـ كانت توجد ثغرة مهمّة جداً وغريبة جداً : ١٠ ـ لا أحد قد تعرّض للتنويم المغنطيسي in articulo mortis [على شفا الموت] . ١١ ـ فتبقى معرفة، ١٢ ـ أوّلاً، إنْ كان يوجد عند الخاضع للتنويم قابلية أيّاً كانت للسائل العصبي المغنطيسي؛ ١٣ ـ وثانياً، وفي حال الإيجاب، أَيُضْعِفُ منها ذلك الظرف أو يُضاعفُ من قوّتها؛ ١٤ ـ وثالثاً، إلى أيّ حدّ وحتى أيّ مدة زمنية يمكن للعملية أنْ تُوقِفَ تعديات الموت. ١٥ ـ كانت هناك نقاط أخرى يلزم فحصها، ١٦ ـ لكن هذه الثلاث كانت الأشدّ إثارة لتطلّعي، ١٧ ـ والأخيرة منها على الخصوص، لِمَا لعواقبها من طابع خطورة هائل.

١ ـ **«الحقيقة عن حالة السيّد ڤالدمار».**

وظيفة العنوان لم تُدْرَسْ بعد جيّداً، على أيّ حال من وجهة نظر بنيوية. وما يمكن قوله الآن، هو أن المجتمع، لدوافع تجارية، ولحاجته إلى مُمَاثلة النص بمنتوج، تلزمه رموز**الوَسْم** : إن وظيفة العنوان هي وَسْمُ بداية النص، أي تشكيل النص باعتباره سلعة. فلكلّ عنوان إذن عدة معانٍ متواقتة، ومن بينها على الأقل هذان المعنيان : 1 – ما يُصَرَّحُ به مقترناً بعَرَضِيّة ماسيليه؛ 2 – الإعلان عن أنّ قطعة من الأدب ستتلوه (أي، في الحقيقة، سلْعَةً)؛ وبعبارة أخرى، إن للعنوان دائماً وظيفة مزدوجة : تلفّظية وإشارية.

أ. الإعلان عن حقيقةٍ يشترط وجود لُغْزٍ. وطرح اللّغز ناتج (على مستوى الدوال) عن لفظة **الحقيقة**، وعن لفظة **حالة** (ماهو استثنائي، أي مُتَمَيِّز، أي ذو دلالة، وبالتالي يلزم العثور على معناه) : وعن أداة التعريف في لفظة الحقيقة (لا توجد إلا حقيقة واحدة، فيلزم إذن كلّ اشتغال النص لاجتياز هذا الباب الضيّق)؛ عن الشكل الكَتْفَرِي[28] الذي يتضمّنه العنوان :

ما سيأتي سيحقّق ما كان مُعْلَناً عنه؛ إن حلّ اللّغز مُعلَن عنه سلفاً؛ ومن الملاحظ أن النص الأنجليزي الأصلي يقول :

« The facts in the case... »[الوقائع عن حالة ...] المدلول الذي يقصده **پو** هو من مستوى تجريبي، والذي يستهدفه المترجم الفرنسي (**بودلير**) هو من مستوى تأويلي : إن الحقيقة تحيل حينئذ على الوقائع الدقيقة، ولكن ربما أيضاً على معناها. ومهما يكن، فسنرمز إلى هذا المعنى الأوّل للوحدة القرائية كما يلي : **اللغز، طَرْح** (اللغز اسم عام لنسق، وطرح ليس إلا أحد عناصره).

ب. يمكن قول الحقيقة دون الإعلان عن ذلك، دون الإحالة على لفظة الحقيقة . إذا تكلّمنا عما سنتكلّم عنه، إذا شطرنا اللغة إلى شريحتين إحداهما تعلو على الأخرى، فإننا لا نفعل شيئاً سوى اللجوء إلى لغة واصفة. فلدينا هنا إذن نسق **اللغة الواصفة.**

ج. وهذا الإعلان اللغوي الواصف ذو وظيفة **فاتحة للشهية** : إنه فتح لشهية القارئ (وهي طريقة منتسبة إلى الإثارة والتشويق) . إن السرد سلعة، يكون عرضها مسبوقاً بـ « دعاية مُنَمَّقة ». وهذه « الدعاية المنمّقة »، هذا « المُشَهِّي » هو عنصرٌ من عناصر النسق السّردي (بلاغة السرد).

د. لا بد دائماً من مساءلة اسم العَلَم بعناية، لأن اسم العلم هو، إن جاز لنا القول، أمير الدوال؛ إيحاءاته ثرية واجتماعية ورمزية. يمكن أن نقرأ في اسم **ڤالدمار** على الأقل الإيحائين التاليين : 1 – حضور نسق اجتماعي عرقي : هل هو اسم ألماني؟ سلاڤي ؟ إنه على أي حال ليس أنكلوسكسونياً؛ هذا اللغز الصغير، المطروح هنا ضمنياً، سيجد

حَلَّهُ في الوحدة القرائية رقم ١٩ (ڤالدمار پولوني)؛ 2 – « ڤالدمار» هـو La vallé de la mer [« وادي البحر»]؛ واللُّجَّةُ الأوقيانوسية، والأعماق البحرية هي تيمة عزيزة على پو : الهاوية تحيل على ماهو مَرّتَيْن خارج الطبيعة : تحت المياه وتحت الأرض. هنا إذن، من وجهة نظر التحليل، أثر لنسقين: نسق اجتماعي عرقي ونسق (أو النسق) (الـ) رّمزي (وسنعود إلى هذين النسقين بعد قليل).

هـ. أن تقول « السيد ڤالدمار» ليس هو الشيء نفسه حين تقول « ڤالدمار». يستخدم پو في كثير من حكاياته مجرّد أسماء شخصية (ليجيا، إليونورا، موريلا). إن حضور لقب السيّد يحمل الإيهام بواقع اجتماعي، وواقع تاريخي : البطل مندمج اجتماعيا، وهو جزء من مجتمع محدَّد، يتوفّر فيه على صفة مدنية. ينبغي إذن تسجيل : نسق اجتماعي.

٢ ـ « أن تكون حالة السيد ڤالدمار الخارقة قد أثارت النقاش، فذلك لا يدعو حقا للاندهاش. ستكون معجزة لو لم يكن الأمر كذلك، خصوصا في مثل تلك الظروف ».

أ. هذه الجملة (والجمل التي تتلوها مباشرة) ذات وظيفة واضحة لإثارة توقّع القارئ، ولهذا تبدو ضئيلة القيمة ظاهرياً : فالمطلوب هو حَلُّ اللّغز المطروح في العنوان (« الحقيقة ») لكن هذا اللغز، يتم إرجاءُ حتّى طرحه. ينبغي إذن تسجيل ترميز : إرجاء طرح اللغز.

ب. الإيحاء ذاته الموجود في (١) ج؛ يتعلق الأمر بإثارة شهية القارئ (نسق سردي).

ج. لفظة خارقة ملتبسة : إنها تحيل على ما يخرج عن المعتاد، لكن

ليس بالضرورة على ما يخرج عن الطبيعة (إذا بقيت الحالة ذات طبيعة «طبِّية»)، لكنها أيضا يمكن أن تحيل إلى ما هو فوق طبيعي، المتحوِّل إلى الانتهاك (تلك هي «عجائبية» الحكايات. «الخارقة» تماماً. التي يحكيها پو). التباس العبارة هنا ذو دلالة : يتعلق الأمر بقصة فظيعة (خارج حدود الطبيعة)، ومع ذلك تَضْمَنُ صِحَّتَها سلطةُ العلم (التي توحي بها هنا لفظة «نقاش» وهي من ألفاظ العلماء). هذا المزيج ثقافيٌّ في الحقيقة : إن الخلط بين الغريب والعلمي قد بلغ أوجه خلال هذه الفترة من القرن التاسع عشر التي ينتسب إليها إجمالاً **إدغارپو**، وحصل اندفاع مثير لملاحظة علمية للغيبيات (الظواهر المغنطيسية، واستحضار الأرواح، والتخاطر أو التِّلِبَّاثي، إلخ)؛ يتذرَّع ما فوق الطبيعة بسلطة عقلانية، علمية؛ وكانت الصيحة النابعة من القلب لذلك العصر الوضعي هي : لو تمكنّا من الاعتقاد علمياً بالخلود! هذا النسق الثقافي، الذي سنسميه هنا، لأجل التبسيط، نسقاً علمياً، ستكون له أهمية عظيمة في مجموع المحكي.

٣ ـ **«إن رغبة كل الأطراف المعنية أن يظل الأمر سراً، على الأقل في الوقت الحاضر. بانتظار فرصة تحرّيات جديدة، وجميع جهودنا للنجاح في ذلك قد أفسحت المجال [...]»**

أ. نفس النسق العلمي، المتكرِّر في لفظة «تحريات» (التي هي كذلك لفظة بوليسية : ومعلوم ازدهار الرواية البوليسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، انطلاقاً من **إدغار پو** تحديداً؛ والمهم إيديولوجيا وبنيويا، هو اقتران نسق اللغز البوليسي ونسق العلم. نسق الخطاب العلمي. ، مما يبرهن على انّ التحليل البنيوي يمكنه جيداً التعامل والتعاون مع التحليل الإيديولوجي).

ب . حوافز السِّر غير مذكورة؛ ويمكن أن تصدُر عن نسقين مختلفين، حاضرين كليهما في القراءة (أن تقرأ هو كذلك أن تتخيَّل في صمت المسكوت عنه) : 1 - النسق العلمي وأخلاقيات الطبيب : إن الأطباء و**إدغاربو**، لأمانتهم وحرصهم، لا يريدون الإعلان عن ظاهرة لم تتوضّح علمياً؛ 2 - النسق الرمزي : يوجد مُحَرَّمٌ حول الموت الحيّ : ذلك مسكوت عنه لأنه فظيع. ولابد أن نقول على الفور (مع أننا سنعود إلى هذا فيما بعد بشيء من الإلحاح) **إن** هذين النسقين **غير قابلين لحكم جازم** (لا يمكن اختيار أحدهما ضد الآخر)، وعدم الجزم هذا هو الذي يصنع المحكي الجيِّد.

ج. من وجهة نظر **الأفعال** السردية، تبدأ هنا متوالية (هي الأولى التي نصادفها) : إن «الإخفاء» يقتضي منطقياً (أو بمنطق زائف) عمليات تتلوه (مثلا : الكشف). ينبغي إذن أن نضع هنا العنصر الأول في متوالية أفعال : **الإخفاء**، التي سنصادف تكملة لها فيما بعد.

٤ ـ «[...] لرواية مبتورة أو مبالغ فيها ذاعت بين الجمهور، والتي بتقديمها للقضية في أمقت مظاهر الزَّيف قد صارت بالطبع مصدراً لتكذيب شديد».

أ. طلبُ الحقيقة، أي اللغز، قد طُرح مرّتين من قبل (بواسطة لفظة «الحقيقة» وعبارة «حالة خارقة»). وهنا يُطرح اللغز للمرة الثالثة (وبعبارات بنيوية فإن طرح لغز يعني الإعلان : **هنا لغز**) بواسطة ذكر الخطأ الذي تسبّب فيه ذلك اللّغز، والخطأ المعروض هنا يُبَرِّرُ العنوانَ ارتجاعياًو بواسطة الأنفرة («الحقيقة عن...»). أما الإطناب في طرح اللغز (وجود اللّغز يُكَرَّرُ بطرق عديدة) فله قيمة مُشَهِّية : الهدف هو إثارة القارئ، والحصول على زبائن للمحكي.

ب. في متوالية الأفعال التي سميناها «الإخفاء» يظهر عنصر جديد: إنه تأثير السِّر، أي التحريف، والظنّ الزائف، والاتهام بالمخادعة.

٥ ـ «وقد صار من اللازم الآن أن أعرض الوقائع، على الأقل بقدر ما فهمته منها».

أ. إن التشديد على «الوقائع» يفترض تشابك نسقين، غير قابلين، كما في (٣)ب، لحكم جازم بينهما: 1 - إن القانون العلمي وأخلاقيات العلم تجعل العالِم والملاحِظ خاضعين **للوقائع**؛ إنها تيمة أسطورية قديمة هذا التقابل بين الوقائع والإشاعات؛ واستحضار الوقائع في تخييل (واستحضارها بطريقة توكيدية، بوضع خط تشديد تحتها) ذو وظيفة بنيوية (لأنّ القيمة الواقعية لهذه الحيلة السردية لاتخدع أحداً)، وهذه الوظيفة هي توثيق القصة، لا بالإقناع أنها قد حدثت فعلاً في الواقع، بل بِتَبَنِّي خطاب الواقع، لا خطاب الخرافة. فتندرج **الوقائع** حينئذ في أنموذج، حيث تتقابل مع **خُدْعَة** (لقد اعترف إدغاريو في رسالة خاصة أن قصة السيد ڤالدمار مجرّد خدعة: it is a mere hoax[29]. ويكون حينئذ النسق الذي يُبَنْيِنُ الإحالةَ على الوقائع هو النسق العلمي الذي تَعَرَّفْنا عليه سلفاً؛ 2 - غير أنّ كلَّ لجوء مؤكَّد قليلا أو كثيراً إلى الوقائع يمكن أيضاً اعتباره عَرَضاً من أعراض نزاع الذات مع الرمزي؛ إن المطالبة عدوانياً بـ «الوقائع وحدها»، والمطالبة بتغليب المرجع، يعنيان اتهام الدلالة، وبَتْرَ الواقع من تكملته الرمزية، إنه فعلُ رقابةٍ ضدّ الدالِّ الذي يُزيح الوقائع، إنه رفض المسرح **الآخر**، مسرح اللاوعي. إن السارد،

برفضه للتكملة الرمزية (ولو كان ذلك في نظرنا بواسطة تمويه سردي)، يتقمّص دوراً خيالياً، دور العالم؛ فيكون مدلول الوحدة القرائية إذن هو **لارمزيةُ** فاعلِ التلفّظ؛ إنّ ضمير المتكلّم يُقَدِّمُ نفسه باعتباره لارمزياً؛ وإنكارُ الرمزي يُشَكِّل بالطبع جزءاً من النسق الرمزي نفسه.

ب. متوالية الأفعال :« الإخفاء» تنمو : العنصر الثالث يقول بضرورة تصويب التحريف الملحوظ في (٤) ب؛ وهذا التصويب يقوم مقام : **إرادة كشف** (ماكان مخفياً). وهذه المتوالية السردية : « الإخفاء » تُشكِّل طبعاً استثارة للسّرد. و هي بمعنىً مّا تمنحه تبريره، و من ثمَّ تستهدف قيمته (مُعَادلَه القيمِي)، وتجعل منه سلعة : السارد يقول إني أسرد لقاء **مُقَابل** هو مطلَب نقض الخطأ، أي مطلب الحقيقة (نحن في حضارة حيث الحقيقة هي قيمة، أي سلعة). من المهمّ دائماً محاولة إبراز **المُعَادِل القيمِي** لمحكي : السّرد يُنْجَز في مقابل ماذا؟ في **ألف ليلة وليلة** كل حكاية تعادل يوماً آخر من البقاء على قيد الحياة. وهنا يجري تنبيهنا إلى أن حكاية السيّد ڤالدمار **تعادل قيمياً** الحقيقةَ (التي قُدِّمَتْ في البداية باعتبارها نقضاً للتحريف).

ج. يظهر ضمير المتكلم لأوّل مرّةٍ صراحةً. إنه كان حاضراً سلفاً في ضمير الجماعة من « جهودنا » (٣). التلفظ يتضمّن في الحقيقة ثلاثةَ ضمائرِ التّكَلُّم، أي ثلاثة أدوار خيالية (إن النطق بضمير المتكلِّم يعني الدخول إلى الخيالي) : 1 - ضمير متكلم سارد، فنان، دافعه هو البحث عن إحداث التأثير؛ وهذا الضمير يطابقه ضمير مخاطَب هو القارئ الأدبي، ذلك الذي يقرأ « حكاية عجائبية للكاتب الكبير

إدغاريو » ؛ 2 - ضمير متكلم شاهد، يمتلك مقدرة على الإدلاء بشهادة حول تجربة علمية؛ وضمير المخاطب المطابق هو ضمير لجنة تحكيم من العلماء، والرأي العام الجادّ، والقارئ العلمي؛ 3 - ضمير متكلم ممثِّل، يقوم بتجربة، وهو ذلك الذي سيقوم بتنويم ڤالدمار مغنطيسياً؛ وضمير المخاطَب حينئذ هو ڤالدمار نفسه؛ وفي الحالتين الأخيرتين، يكون حافز الدَّوْرِ الخيالي هو « الحقيقة ». لدينا هنا ثلاثة عناصر من نسق سَنُسَمِّيه، مؤقتاً ربّما، **نسق التواصل**. لاشك أن بين هذه الأدوار الثلاثة، توجد لغة أخرى، لغة اللاوعي ، التي لا تتلفّظ لا في العلم ، ولا في الأدب؛ لكن هذه اللغة، التي هي حرفياً لغ **المحظور**، لا تَقُولُ أنا : إنّ نحونا بضمائرِه الثلاثة ليس أبداً هو نحو اللاّوعي .

٦ - « **وها هي بإيجاز** : »

أ. الإعلان عما سَيَلِي مُخْتَصٌّ باللّغة الواصفة (والنسق البلاغي)؛ إنّه الحَدُّ الذي يُمَيِّز حكَاية داخل الحكاية.

ب. « بإيجاز » تتضمن ثلاثة إيحاءات متمازجة ولا يمكن الحسم بينها : 1 - « لا تخافوا، لن أُطيل في الحديث » : إنها، في النسق السردي، صيغة **إقامة الاتصال** (التي كشف عنها **ياكبسون**). ووظيفتها هي استرعاء الانتباه، والحفاظ على الاتصال؛ 2 - « سيكون ذلك وجيزاً لأنني سأقتصر على الوقائع » : إنه النسق العلمي، الذي يتيح الإعلان عن « تَجَرُّد » العالم، وتفوُّق مقام الوقائع على مقام الخطاب؛ 3 - الادِّعاء بأنّ الكلام سيكون وجيزاً هو، بمعنى ما، معارضة الكلام، والحَدُّ من تكملة الخطاب، أي الرمزي؛ إنه التكلُّم بلغة نسق اللاّرمزي.

٧ ـ « انجذب اهتمامي، في هذه السنوات الثلاث الأخيرة، مرات عديدة نحو التنويم المغنطيسي؛ »

أ. في كلٍّ محكيٍّ، ينبغي مراقبة **النسق الزماني**؛ هنا، في هذا النسق (« السنوات الثلاث الأخيرة ») تتمازج قيمتان : الأولى، إنْ صحَّ القول، ساذجة، تسجِّل أحد العناصر الزمنية للتجربة التي ستجري : زمن إعدادها؛ والثانية ليست لها وظيفة حكائية، إجرائية (ويتجلّى ذلك بواسطة الاختبار الإبدالي، فلو ذكر السارد « السنوات السبع » بدل »الثلاث »، لَمَا كان لذلك أيٌّ تأثير على الحكاية)؛ إن هذا مجرّد إِيهام بالواقع : العدد يوحي توكيدياً بحقيقة ما وقع : فماهو دقيقٌ يُعْتَقَدُ واقعياً (وهذا وَهْمٌ، إِذْ يوجد هذيانٌ معروف جداً، هو هذيان الأرقام). لنلاحظ أن كلمة « الأخيرة » هي لسانياً « وَاصِلٌ كَلاَمِيّ » : إِنها تُحيل على مقام التلفظ في الزمان؛ فهي إِذن تدعم حضورالشهادة التي ستلي.

ب. هنا تبدأ متواليةٌ للأفعال طويلةٌ، أو، على أيِّ حال، متواليةٌ غزيرة العناصر، موضوعها هو انطلاق تجربة (نحن تحت سلطة العلم التجريبي)؛ هذا الانطلاق، بنيوياً، ليس هو التجربة ذاتها، إنه **برنامج تجريبي**. وهذه المتوالية تقوم مقام **صياغة** اللغز، الذي طُرح سلفاً عدّة مرات (« هنا لغز »)، غير أن صياغته لم تجر بعد. وحتى لانثقل عرض التحليل، سنُرَمِّزُ « البرنامج » على حدة، مع العلم أن مجموع المتوالية، بالوكالة، تَسُدُّ مَسَدَّ عنصرٍ من عناصرِ نسق اللغز. وفي متوالية « البرنامج » هذه، لدينا هنا العنصر الأول : تقرير الحقل العلمي للتجربة، وهو علم التنويم المغنطيسي.

ج. إِن الإحالة على التنويم المغنطيسي مقتبسة من نسق ثقافي،

كان حضوره مُلحّاً في هذا الشطر الأول من القرن التاسع عشر. وعلى إثر ميسمر Mesmer (في اللغة الانجليزية قد يُسمَّى التنويم المغنطيسي باسم «الميسمرية») [30] والمركيز **أرمان دي ييسيغور**، الذي كان قد اكتشف أن التنويم المغنطيسي يمكن أن يتسبَّب في النَّوْمَشَةِ، تكاثر المُنَوِّمون المغنطيسيون وجمعيات التنويم المغنطيسي بفرنسا (حوالي 1820)؛ وقد أمكن، على مايبدو، في 1829 إجراء استئصال غير مؤلم لِوَرَمٍ أثناء الخضوع للتنويم؛ وفي 1845، سنة حكايتنا، قَنَّن بريد Braid من مانشستر التنويم المغنطيسي عن طريق إثارة وَهَنٍ عصبي ناتج عن تأمُّل شيء لامع؛ وفي 1850، بالمستشفى الميسمري بكلكتا، تم الحصول على ولادات دون وجع. ومن المعلوم أنه بعد ذلك قد صنّف شارْكُو [31] الحالات التنويمية وحصر التنويم المغنطيسي في الهستيريا (1882)، لكن الهستيريا باعتبارها كياناً عيادياً قد اختفت منذئذ من المستشفيات (انطلاقا من اللحظة التي تمّ فيها الكفّ عن ملاحظتها). إن سنة 1845 تميز ذروة الوهم العلمي: كان يُعتقد بحقيقة التنويم المغنطيسي الفيزيولوجية (مع أن **إدغاربو** وهو يُؤَشِّر «عصبية» ڤالدمار، قد لمَّح إلى الاستعداد الهستيري لهذا الشخص الذي سيخضع للتجربة).

د. موضوعاتياً، يوحي التنويم المغنطيسي (على أي حال في ذلك العهد) بفكرة تيار من الطاقة: هناك عبور شيء ما من ذات لأخرى: هناك مقول مشترك (محظور) [32] بين السارد وڤالدمار: إنه نسق التواصل.

٨ ـ **«ومنذ حوالي تسعة أشهر، أثارت انتباهي فجأة فكرة أنّه في سلسلة التجارب التي أُجْرِيَتْ حتى اليوم [...]»**

أ. النسق الزماني (« تسعة أشهر ») تنطبق عليه الملاحظات نفسها الواردة في (٧)أ.

ب. هذا هو العنصر الثاني في متواليةِ « البرنامج » : لقد تم في (٧) ب، اختيار مجال، وهو التنويم المغنطيسي؛ وهاهو هذا المجال يجري تقطيعه الآن؛ وستُفْرَدُ له مشكلةٌ خاصّة.

٩ ـ « [...] **كانت توجد ثغرة مهمّة جداً وغريبة جداً** : »

أ. تستمر بنية « االبرنامج » في عرض نفسها : هذا هو العنصر الثالث : التجربة لم يُنْجِزْهَا أحَدٌ بعد . وإذن، بالنسبة لكلّ عالِم مهتم بالبحث، فلابد من إجرائها.

ب. هذا النقض التجريبي ليس مجرد « نسيان ». أو أن هذا النسيان ذو دلالة قوية : إنه ببساطة نسيان للموت؛ كان يوجد مُحَرَّمٌ (سيتم رفعه في اعمق أعماق الفظاعة)؛ فالإيحاء ينتسب إلى النسق الرمزي.

١٠ ـــ « **لا أحد قد تعرض للتنويم المغنطيسي وهوعلى شفا الموت** ».

أ. هذا هو العنصر الرابع في متوالية « البرنامج » : إنه مضمون الثغرة (هناك طبعاً اقتباس للعلاقة بين الإعلان عن الثغرة وتعيينها من النسق البلاغي : الإعلان / التعيين).

ب. إن اللاتينية (in articulo mortis)، وهي لغة القانون والطبّ، تُنْتِجُ إيهاماً بالعلموية (النسق العلمي)، لكنها كذلك، تشير بواسطة تلميحٍ (أنْ تقول في لغة غير معروفة كثيراً شيئاً لا تجرؤ على قوله في اللغة الشائعة)، إلى مُحَرَّمٍ (نسق رمزي). فيبدو جيّداً أن المحرَّم أساسا في الموت، هو العبور، العتبة، « المَوَتَان »؛ إنّ الحياة والموت حالتان

مُصنَّفتان نسبياً، وهما فضلاً عن ذلك يدخلان في تقابلٍ استبدالي، فالمعنى يتكفَّل بهما، وهو أمر يبعث دائماً على الطمأنينة؛ لكنّ تحوّل الحالَيْن، أو بعبارة أدقّ، كما سيكون الحال هنا، تعدّيهما لحدودهما، يُبْطِلُ المعنى، ويولّد الرعب : يوجد انتهاك لنقيضة، ولتصنيف.

١١ - « فتبقى معرفة [...] »

يتمّ هنا الإعلان عن تفصيل « البرنامج » (إذن نسق بلاغي ومتوالية « البرنامج »).

١٢ - « أولاً ، إن كان يوجد عند الخاضع للتنويم قابليةٌ أيّاً كانت للتيار العصبي المغنطيسي ؛ »

أ. في متوالية « البرنامج » ، هذا أول تفكيك للإعلان الحاصل في (١١) : يتعلق الأمر بمشكلة أولى يلزم إيضاحها.

ب. هذه المشكلة I هي بذاتها عنوان لمتوالية منظَّمة (أو لمتوالية فرعية لمتوالية « البرنامج »)؛ لدينا هنا عنصرها الأول، وهو صياغة المشكلة؛ وموضوعها هو **كينونة** الاتصال المغنطيسي ذاتها : أموجودة هي أم لا؟ (الجواب سيكون بالإيجاب في الوحدة القرائية (٧٨) : إن المسافة الطويلة جداً في النص، الفاصلة بين السؤال والجواب، خاصَّةٌ بالبنية السردية : إنها تتيح، بل تُحَتِّم بناء المتواليات بعناية، بحيث تُشَكِّلُ كلٌّ واحدة منها خيطاً يَنْضَفِرُ مع مجاوريه.

١٣ - « وثانياً ، وفي حال الإيجاب ، أَيُضعِفُ منها ذلك الظرف أو يُضَاعِفُ من قوّتها ؛ »

أ. في متوالية « البرنامج » تأخذ مكانها هنا المشكلة الثانية (يُلاحَظ أنّ المشكلة II مرتبطة بالمشكلة I عن طريق منطق تضميني : إذا كان ذلك كذلك ... إذن؛ وإذا لم يكن فالحكاية ستنهار؛ فالخيار، بحسب **مقام الخطاب**، مغشوش إذن .

ب. هذه هي المتوالية الفرعية الثانية لمتوالية «البرنامج» : إنها المشكلة II : كانت المشكلة تعني كينونة الظاهرة، والمشكلة الثانية تعني قياسها (كلُّ هذا «علمي» جداً)؛ والجواب على السؤال سَيُعْطَى في الوحدة القرائية (٨٢)، إنّ القابلية تتضاعف : «في الماضي، لما كنت قد حاولت هذه التجارب عليه، لم تكن أبداً تنجح بالكامل ...لكن لعظيم دهشتي [...]».

١٤ ـ «وثالثا، إلى أيِّ حَدٍّ وحتّى أيّ مُدَّةٍ زمنية يمكن للعملية أن تُوقف تعدِّيات الموت».

أ. إنها المشكلة III التي يطرحها «البرنامج»

ب. هذه المشكلة III، كالمشكلتين الأخريين، تتم صياغتها ، وهذه الصياغة ستُكَرَّر توكيدياً في (١٧)؛ وتتضمن الصياغة سؤالين فرعيين : 1 – إلى أي حد يتيح التنويم المغنطيسي للحياة أن تتطاول على الموت؟ الجواب سيُعْطَى في الوحدة القرائية (١١٠) : **لا حَدَّ لذلك بما في ذلك اللّغة**؛ 2 – أيّ مدة زمنية ؟ لن يجاب على هذا السؤال مباشرة : إن تطاول الحياة على الموت (بقاء المُنَوَّمِ مغنطيسياً على قيد الحياة) سيتوقّف في ختام سبعة أشهر، لكن ذلك سيكون بسبب التدخل الاعتباطي للقائم بالتجربة، فيمكن إذن الافتراض أن ذلك سيدوم لانهائياً، أو على أيّ حال لانهاية لذلك في حدود الملاحظة.

١٥ ـ «كانت هناك نقاط أخرى يلزم فحصها،»

يذكر «البرنامج» مشاكل أخرى يمكن طرحها بصدد التجربة المتوقَّعة، ويذكرها بصورة إجمالية، فالعبارة تعادل «إلى آخره»؛ وقد كان **ڤاليري** يقول إن الطبيعة ليس فيها «إلى آخره»؛ ومن الممكن أنْ

نضيف : ولا في اللاّوعي أيضاً. والحقيقة أن «آخره» لا تنتسب* سوى إلى الخطاب المظهري : فمن جهة، يبدو على هذا الخطاب أنه يلعب اللعبة العلمية لبرنامج التجربة الكبير، فهو مُحْدِثُ الإيهام بالواقع؛ ومن جهة أخرى، فإن ذلك الخطاب بتعتيمه وتلافيه للمشاكل الأخرى، يؤكّد ويُقَوّي معنى المسائل المُعْلَنِ عنها سابقاً : لقد تمّ النّطق بالرّمزيّ القَوِيّ بواسطة عرض المشاكل الثلاث، وسائر ما تَبَقّى ليس، ضمن مقام الخطاب، إلا تصنُّعاً وتمويهاً.

١٦ ـ «لكن هذه الثلاث كانت الأشدَّ إثارة لتطلّعي،»

هنا، في «البرنامج»، تذكير إجمالي بالمشاكل الثلاث («التذكير»، أو «التلخيص»، هما مثل «الإعلان»، عناصر من النسق البلاغي).

١٧ ـ «. والأخيرة منها على الخصوص، لِمَا لعواقبها من طابع خطورة هائل.»

أ. التوكيد (وهو عنصر من النسق البلاغي) يَنْصَبُّ على المشكلة III.

ب. مرّة أخرى نسقان لا يمكن الجزم بينهما : 1 - علمياً، الرِّهان هو تراجعُ مُعْطًى بيولوجي، هو الموت؛ 2 - ورمزياً، الرّهان هو انتهاكٌ للمعنى الذي يُقَابِلُ بين الحياة والموت.

تحليل الأفعال السردية في الوحدات القرائية من 18 إلى 102

من بين كل الإيحاءات التي صادفناها، أو على الأقل تَبَيّناها، في

بداية حكاية **إدغاربو** هذه ، يمكن تعيين بعضٍ منها باعتبارها عناصر متدرِّجة لمتواليات أفعال سردية؛ وسنعود في الختام إلى الأنساق المختلفة التي كشف عنها التحليل، ومن بينها نسق الأفعال. وفي انتظار هذا التوضيح النظري، يمكننا أن نعزل متواليات الأفعال هذه و نستخدمها لنستعرض بجهد قليل (محتفظين مع ذلك بالقيمة البنيوية لقولنا) بقيِّة الحكاية. فليس من الممكن، كما سيتضح، أن نحلل مجموع حكاية **بو** تفصيلياً (ناهيك عن تحليل شامل : فالتحليل النصي ليس شاملاً أبداً ولا يريد أن يكون كذلك) : سيكون هذا مفرط الطول؛ لكننا سنستأنف التحليل النصي لبعض الوحدات القرائية في ذروة الحكاية (الوحدات القرائية ١١٠ - ١٠٣). وحتى نصل الشّذرة التي حلَّلنا بتلك التي سنقوم بتحليلها، وذلك **على مستوى الفهم**، تكفينا الإشارة إلى المتواليات الرئيسة للأفعال السردية، التي تنطلق وتنمو (لكنها لا تنتهي بالضرورة) بين الوحدة القرائية ١٨ والوحدة القرائية ١٠٢ لا يمكننا مع الأسف، لضيق المكان، تقديم نصّ **بو** الذي يفصل هاتين الشذرتين[33]، ولا أيضاً ترقيم الوحدات القرائية الوسيطة؛ لن نستعرض إلا متواليات الأفعال (ولن نتمكّن حتى من تسجيل التفاصيل عنصراً عنصراً)، على حساب الأنساق الأخرى الأكثر عدداً والأكثر أهمية بالتأكيد، وذلك أساساً لأن هذه المتواليات تشكِّلُ، كما يظهر من تعريفها، الهيكل الحَدَثي للحكاية (وسأسمح باستثناء خفيف فيما يخص النسق الزماني، وسأحدِّد بإشارة بدئية أو ختامية اللحظة من المحكي حيث يقع منطلق كل متوالية).

I ـ **البرنامج** : لقد بدأت المتوالية وتطوَّرت كثيراً في الشذرة التي قمنا بتحليلها. والمشاكل التي تطرحها التجربة المقصودة معروفة. وتتواصل المتوالية وتختم باختيار الشخص (الموضوع) الضروري للتجربة : سيكون هوالسيد ڤالدمار(يقع طرح البرنامج تسعة أشهر قبل لحظة السرد).

II - **التنويم المغنطيسي** (أو بالأحرى، لو سُمِحَ لنا بهذا التعبير الجديد الثقيل : التنويمية المغنطيسية). قبل أن يختار پ. (وهو القائم بالتجربة) السيد ڤالدمار موضوعاً لتجربته، فقد اختبر قابليته للتأثير المغنطيسي؛ إنها موجودة، لكن النتائج مع ذلك كانت مُخَيِّبة للأمل : كان خضوع السيد ڤالدمار تشوبه أشكال من المقاومة. وتُحْصِي المتوالية عناصر هذا الاختبار، السابق على قرار التجربة والذي لا يتم تحديد موقعه الزماني.

III - **الموت الطبّي** : إن متواليات الأفعال تكون في الأغلب ممطوطة، متشابكة مع متواليات أخرى. وحين يخبرنا المحكي بالحالة الصحية السيئة للسيد ڤالدمار والنهاية المحتومة التي حكم بها عليه الأطباء، فإن ذلك المحكي يشرع في متوالية طويلة جداً تسري على طول الحكاية ولا تنتهي إلا عند الوحدة القرائية الأخيرة (١٥٠)، مع تميُّع جسد السيِّد ڤالدمار. إن فصولها عديدة، ومتقطِّعة، لكنها مع ذلك علمياً منطقية؛ صحّة عليلة، تشخيص الأطباء، حكمهم بأنْ لا أمل في الشفاء، تدهور، احتضار، موت الجسد (علامات الموت

الفسيولوجية) ـ وفي هذه اللحظة من المتوالية يقع تحليلنا النصي الثاني ـ، تفتُّت، تميُّع.

IV ـ العَقْدُ. يقترح پ على السيد ڤالدمار أن يقوم بتنويمه مغنطيسياً لمّا يكون مشرفاً على الموت (لأنه يعلم أنْ لا أملَ في شفائه) فيقبل السيّد ڤالدمار؛ هناك عَقْدٌ بين الشّخص موضوع التّجربة والقائم بالتجربة : شروط، اقتراح، قبول، اتفاقات، قرار التنفيذ، تدوين رسمي أمام أطبّاء (هذه النّقطة الأخيرة تُشَكِّلُ متوالية فرعية).

V ـ الجُمْدَةُ (سبعة أشهر قبل لحظة السرد، يوم السبت على الساعة 7 و55 دقيقة) : لما حانت وفاة السيّد ڤالدمار وبعد أن أخطر المريضُ نفسه السيّدَ پ. القائمَ بالتجربة، شرع هذا الأخير في التنويم المغنطيسي لحظة النّزع الأخير، وَفْقاً للبرنامج وللعقد. يمكن عنونة هذه المتوالية : الجُمْدَةُ؛ وتتضمّن، من بين عناصر أخرى : حركات يدِ المُنَوِّم المغنطيسي من أجل التنويم (ما يُسَمَّى بالتنويمات)، مقاومات الشخص الخاضع للتنويم، علامات حالة الجمدة، مراقبة يقوم بها القائم بالتجربة، فحص يقوم به الطبيبان (تشغل أفعال هذه المتوالية ثلاث ساعات : إنها الساعة 10 و 55 دقيقة).

VI ـ المُسَاءَلة I (الأحد، الثالثة صباحاً) : پ يسأل أربع مرّات السيد ڤالدمار وهو في حالة تنويم مغنطيسي؛ ومن الملائم تعريف كلّ متوالية سؤالية بالجواب الذي ينطق به السيد ڤالدمار المُنَوَّم. وسيكون الجواب على هذه المساءلة الأولى هو : « أنام الآن » (المتواليات

السؤالية تتضمّن قواعدياً : الإعلان عن السؤال، والسؤال، والإبطاء في الإجابة أو المقاومة، والجواب).

VII ـ المساءلة II : هذه المساءلة تتبع الأولى من قريب. ويجيب السيد ڤالدمار حينئذ : « أنا أموت ».

VIII ـ المساءلة III : مرّة أخرى، يسأل القائمُ بالتجربة السيّدَ ڤالدمار المحتضر والخاضع للتنويم (« أأنت دائماً نائم ؟ »)؛ وهذا الأخير يجيب رابطاً بين الجوابين الأولين الذين نطق بهما : « أنا أنام، أنا أموت ».

IX ـ المساءلة IV : يحاول پ سؤال السيّد ڤالدمار مرة رابعة : يُجَدِّدُ سؤاله (الذي سيجيب عنه السيّد ڤالدمار انطلاقاً من الوحدة القرائية (١٠٥)، انظر ما سيلي).

نصل إذن في المحكي إلى النقطة التي سنستأنف فيها التحليل النصي وحدة قرائية بعد وحدة قرائية. بين **المساءلة** III وبداية التحليل الذي سيلي يتدخل عنصر هام من متوالية « الموت الطبي » : إنّه مَوَتَان السيّد ڤالدمار (١٠٢-١٠١). فالسيّد ڤالدمار، المنوَّم مغنطيسياً، **ميِّت** ، بالمفهوم الطبّي. و من المعلوم أنّه مؤخَّراً، بمناسبة جراحة زرع الأعضاء، صار التشخيص الطبّي للموت موضعاً للنقاش والسؤال : فلا بدّ اليوم من شهادة صورة الدّماغ الكهربائية لتقرير الموت. ولإثبات موت السيد ڤالدمار، يجمع **پو** (في ١٠١ و١٠٢) كلَّ العلامات العيَادية التي تشهد علمياً على موت مريض في عصره : شُخُوص العينين وانقلابهما، جلد البدن بلون الجثة، انطفاء اللَّطْخَتين الحمراوين على الخدّين الناتجتين عن حُمَّى السلّ الرِّئوي، سقوط الفك

وارتخاؤه، سواد اللسان، بشاعة عامة تتسبب في تقهقر الحاضرين بعيداً عن الفراش (نلاحظ مرة أخرى تضافر الأنساق : هذه العلامات الطبّية هي أيضاً عناصر من الرّعب؛ أو بالأحرى، يجري دائما عرض الرّعب تحت سلطة العلم : النسق العلمي والنسق الرمزي يتمّ تحيينهما في آن واحد، بطريقة غير جازمة).

إذا كان السيد ڤالدمار مَيِّتٌ طبّياً، فينبغي أن ينتهي المحكي : إن موت البطل (ما عدا في حالة بعث الأموات الديني) يختم الحكاية. واستئناف الحدث (انطلاقا من الوحدة القرائية ١٠٣) يبدو إذن في الآن ذاته **ضرورة** سردية (لكي يستمر النص) و**فضيحة** منطقية. هذه الفضيحة هي فضيحةُ **التكملة** : كي توجد تكملة للمحكي، يجب أن توجد تكملة للحياة : مرة أخرى السرد **يقوم مقام الحياة**.

التحليل النصي
للوحدات القرائية 103 إلى 110

(١٠٣) «أشعر الآن أنني قد بلغت نقطةً في سردي حيث القارئ الحانق سيحرمني أيَّ تصديق. لكن واجبي هو أن أستمرّ».

أ. نعلم أن الإعلان عن خطاب قادم هو عنصر من النسق البلاغي (ومن النسق اللغوي الواصف)؛ ونعرف كذلك القيمة «المُشَهِّيَة» لمثل هذا الإيحاء.

ب. إن «واجب» إيراد الوقائع، دون الاهتمام بما يصاحبها من مزعجات، هو جزء من نسق أخلاقيات العلم.

ج. إن الوعد بـ«واقع» لا يمكن تصديقه هو جزء من حقل المحكي

باعتباره سلْعة؛ فهذا يرفع من «ثمن» المحكي؛ لدينا هنا إذن، ضمْن النسق العام للتواصل، نسقٌ فرعيٌّ، هو نسق المبادلة، يكُون أيٌّ محكيٍّ عنصراً من عناصره. انظر (٥)ب.

١٠٤ «لم يعد في السيد ڤالدمار أدنى عَرَضٍ من أعراض الحيوية؛ ولما استنتجنا موته، تركناه لعناية المرضيْن، [...]»

في المتوالية الطويلة «الموت الطبّي»، التي كنا قد أشرنا إليها، كان المَوتَان قد لوحظ في (١٠١)؛ وهنا يتم تأكيده؛ في (١٠١)، وُصفَتْ حالة موت السيد ڤالدمار (من خلال لوحة من القرائن)، والآن يجرى إثباتها بواسطة لغةٍ واصفةٍ.

(١٠٥) «وإذا بحركة اهتزازٍ قويّة تظهر على اللسان. دام هذا دقيقة ربّما. وفي انقضاءهذه المُدّة، [...]»

أ. النسق الزماني («دقيقة») يدعم مؤثِّريْن: مُؤَثِّرُ الواقع الدّقيق، أي الإيهام بالواقع - انظر (٧) أ - ومؤثّراً دراميا: إن الانبثاق العسير للصّوت، وولادة الصّرخة تُذكِّرُ بصراع الحياة والموت: الحياة تحاول الانفكاك من شَرَك الموت، إنها تتخبّط (أو بالأحرى، الموت هنا هو الذي لا يستطيع الانفكاك عن الحياة: لا يجب أن ننسى أن السيد ڤالدمار **ميّت**: ليس عليه أن يحبس الحياة بل أن يحبس الموت).

ب. قبل قليل من اللحظة التي وصلنا إليها، كان پ قد سأل (للمرّة الرابعة) السيّد ڤالدمار؛ وقبل إجابته، كان مائتاً عادياً بشهادة مباشرة من الطبيبين، لكن متوالية **المساءلة IV** لم تُختَمْ بعد (هنا تقع **التكملة** التي تحدَّثْنا عنها): إنّ حركة اللسان تشير بأن السيّد ڤالدمار

سيتكلّم. ينبغي إذن بناء المتوالية هكذا : سؤال (١٠٠) / (موت طبّي) / محاولة الإجابة (ومن جديد ستستمر المتوالية).

ج. من الواضح هنا وجودُ رمزيّة اللّسان. اللسان هو الكلام (إن قطع اللسان يعني بتر اللغة، كما يُشَاهَد ذلك في الطقوس الرمزية لمعاقبة المُجَدِّفين الناطقين بالكفر)؛ إضافة إلى ذلك فإن للّسان شيئا أحشائياً (جوفياً) وقضيبياً في الآن ذاته. وهذه الرمزية العامة مدعومة هنا بواقع أن اللسان الذي يتحرك يتقابل (إبدالياً) مع اللسان الأسود والمتورِّم للميِّت طبّياً (١٠١). إن الحياة الأحشائية، الحياة العميقة هي المُشَبَّهة بالكلام، والكلام نفسه يتخذ طابعاً تَيْمياً على شكل عضو قضيبي يشرع في الاهتزاز، أشبه ما يكون بما قبل ذروة النّشوة الجنسية : الاهتزاز الذي دام دقيقة هو الرّغبة في المتعة والرغبة في الكلام : إنه حركة الرغبة للوصول إلى شيء ما.

١٠٦ — «[...] تَفَجَّرَ من الفَكَّيْن الفاغرين والجامدين صوتٌ، [...]»

أ. تتواصل متوالية **المساءلة** IV رويداً رويداً، مع تفصيل كبير لعنصر شامل هو «الجواب». صحيح أن الإبطاءات في الإجابة معروفة جيداً في علم قواعد السرد، لكنها عموماً ذات قيمة سيكولوجية؛ وهنا، فإن الإبطاء (والتفصيل الناتج عن ذلك) فسيولوجي محض : إنّه تَفَجُّرُ الصوت مُصَوَّراً ومُسَجَّلاً بالتصوير البطيء.

ب. الصوت يأتي من اللسان (١٠٥)، والفَكَّان ماهما سوى باب؛ إنه لا يأتي من الأسنان : إن الصوت الذي يتهيَّأ ليس أَسْنَانياً، خارجياً، مُتَحَضِّراً (الطابع الأسناني المُفَخَّم لطريقة النطق هو علامةُ

على « الامتياز »)، بل هو باطنيّ، أحشائيّ، عَضَلِيّ. إن الثقافة تُضْفِي القيمةَ على النَّقِيٍّ، والعَظْميّ، والمتميزّ، والواضح (الأسنان)؛ أما صوت الميِّت فينطلق من العَجيني، من الصُّهَارة العَضَلِيّة الباطنية، من العمق. وبنيوياً لدينا هنا عنصرٌ من النسق الرمزي.

(١٠٧) «[...] - صوتٌ سيكون من الجنون محاولة وصفه. لكن يوجد نعتان أو ثلاثة يمكن تحديده بها على وجه التقريب. وهكذا قد أقول إن الصوت كان خشناً، مشروخاً، أَجَشَّ؛ لكن البشاعة الكُلِّية لا يمكن تحديدها، لأن مثل هذه الأصوات لم تُوَلْوِلْ أبداً في سَمْع البشرية.»

أ. النسق اللغوي الواصف حاضرٌ هنا، من خلال خطاب حول عُسْرِ إنشاء خطاب؛ ومن ثمّ استعمال ألفاظ لغوية واصفة صريحة «نعوت»، «تحديد»، «وصف».

ب. رمزية الصوت تنبسط، وهي ذات طابعين: الباطن («الأجش») والمتقطِّع («خشن»، «مشروخ»)؛ وهذا يُهَيِّئ لتناقض منطقي (ضمانة مافوق الطبيعي)، وهو التباين بين «المشروخ» و«اللّزج» (١٠٨)، بينما الباطني يؤكِّد إحساساً بالبُعْد(١٠٨).

(١٠٨) «غير أنه كانت توجد خاصيتان اعتقدت آنئذ وما زلت أعتقد الآن، أنه يمكن اعتبارهما مميِّزتين لنغمة الصوت، وقادرتين على إعطاء فكرة عن غرابته الخارجة عن نطاق الأرض. أوّلاً كان يبدو أن الصوت يبلغ آذاننا، أو أذنيّ على أي حال، كما لو كان ذلك من مسافة سحيقة جداً، أو من بعض الهاويات الجوفية. وثانياً، إن أثره عليّ (أخشى في الحقيقة أنه يستحيل عليَّ تبيان

ماأريد قوله) كان على شاكلة أثر الموادِّ اللّزجة أو الهُلاَمية على حاسّة اللّمس.

تحدث في آن واحد عن الصوت ونغمته. وأعني أن تبيان الصوت للمقاطع كان واضحاً، بل واضحاً بشكل رهيب، مرعب.»

أ. توجد عدة عناصر من النسق اللغوي الواصف (البلاغي): الإعلان («خاصيتان»)، التلخيص («تحدثت») والاحتراز الكلامي («أخشى في الحقيقة أنه يستحيل علي تبيان ما أريد قوله»)

ب. ينتشر الحقل الرمزي للصوت عبر تكرار أوجه «التقريب» الواردة في الوحدة القرائية ١٠٧ : 1 - **السحيق** (المسافة المطلقة): الصوت سحيق لأنَّ /لِكَيْ تكون المسافة بين الموت والحياة كلِّية (تنطوي "لأنَّ" على حافز ينتسب للواقع، لِمَا هو "وراء" الورق، وتحيل "لكي" على مطلب الخطاب الذي يريد الاستمرار، وأن يظل على قيد الحياة باعتباره خطاباً، و بتدويننا لهذا على شكلِ لأنَّ/لكي فإنّنا نقبل النقلة المستمرَّة بين المقامين: مقام الواقع، ومقام الخطاب، ونؤكِّد على الازدواج البنيوي لكلّ كتابة). المسافة (بين الحياة والموت) يجري تفخيمها من أجل **نفيها بطريقة أفضل**: إنها تتيح الانتهاك، و«التعدِّي»، الذي يُشَكِّلُ وَصْفُهُ موضوعَ الحكاية ذاته؛ 2 - **الهاويات الجوفية**: إن تيماتية الصوت عموماً مزدوجة، متناقضة: فالصوت هو تارة شيء خفيف؛ الشيء الطائر الذي يتوارى مُحلِّقاً مع انقضاء الحياة، وهو تارة أخرى الشيء الثقيل، الرّاسخ مثل حجر؛ وهذه تيمة أسطورية قديمة: الصوت الجهنّمي من جوف الأرض، صوت ما وراء الموت (وهذه هي الحال هنا)؛

3 - اللاّمُتَّصِل والمتقطِّع هما في أساس اللغة؛ فيوجد إذن أثر فوق طبيعي في سماعِ لغةٍ هُلاَمية، لزِجة، عجينية؛ ولهذه الملاحظة قيمة مزدوجة، فهي من جهة تؤكّد غرابة هذه اللغة التي هي نقيضٌ لِبِنْيَةِ اللّغة ذاتها؛ ومن جهة أخرى، فهي تضمُّ أشكال الضِّيق والقلق (قارن بتقيُّح الجفنين لحظة انتقال الميِّت من حالة التنويم إلى اليقظة، أي حين سيدخل إلى الموت الحقيقي، ١٣٣)؛ 4 - «تبيان واضح للمقاطع» يُؤَسِّسُ الكلامَ الذي سينطق به الميِّت باعتباره لغةً، تامّة، كاملة، راشدة، باعتباره جوهراً للغة، و ليس لغة متلجلجة، تقريبية، متلعثمة، قاصرة، متورّطة في اللاّلغة، ومن هنا الرهيب والمرعب : يوجد تناقض فَاغرٌ بين الموت واللغة؛ إن نقيض الحياة ليس الموت (هذه فكرة مبتذلة)، إنه اللغة : لا يمكن الجزم بكون ڤالدمار حيّاً أو ميّتاً، الشيء المؤكَّد هو أنّه يتكلّم، دون إمكان ربط كلامه بالموت أو بالحياة.

ج. لنلاحظ حيلة تنتسب للنسق الزماني : «اعتقدت آنئذ ومازلت أعتقد الآن» : يوجد هنا حضور مشترك لثلاثة أزمنة : زمن الحكاية والحدث («كنت أعتقد»)، زمن الكتابة («مازلت أعتقد ذلك في اللحظة التي أكتب فيها»)، وزمن القراءة (إننا، ونحن منجذبين بحاضر القراءة، نعتقد ذلك نحن أنفسنا في اللحظة التي نقرأه فيها)، والمجموع يُنْتِجُ إيهاماً بالواقع.

١٠٩ ــ «كان السيّد ڤالدمار يتكلّم، طبعاً ليجيب عن السؤال الذي كنت قد وضعته عليه دقائق قبل هذا، كنت سألته، كما نذكر، إن كان ما يزال ينام دائماً».

أ. المساءلة IV مازالت جارية : يتم التذكير هنا بالسؤال (انظر ١٠٠)، ويُعْلَنُ عن الجواب.

ب. إن كلام الميّت الخاضع للتنويم سيكون هو الجواب ذاته عن المشكلة III المطروحة في (١٤) : إلى أيّ حدٍّ يمكن للتنويم المغنطيسي إيقاف الموت؟ وهنا يوجد الجواب على هذه المسألة : حتّى حدٍّ اللّغة.

١١٠ ـ «كان يقول الآن : ـ نعم، لا، نِمْتُ، والآن، الآن أنا ميِّت».

من وجهة النظر البنيوية، هذه الوحدة القرائية بسيطة : إنها عنصر «الجواب» («أنا ميّت») في المساءلة IV. غير أنه خارجاً عن بنية الحدث (أي وجود الوحدة القرائية في متوالية أفعال). فإن إيحاء عبارة «أنا ميت» ذو ثراء لا ينضب. حقاً توجد محكيات أسطورية عديدة فيها يتكلّم الميّت؛ لكنه يتكلم ليقول : «أنا حي». توجد هنا صيغة فريدة حقّاً في قواعد السرد، **وتشخيص للكلام المستحيل باعتباره كلاماً : أنا ميّت**. لنحاول بَسْطَ بعض هذه الإيحاءات :

1 – سجّلنا آنفاً تيمة **التعدّي** (تعدّي الحياة لحدود الموت)؛ التعدّي اضطراب استبدالي، اضطراب في المعنى؛ في الأنموذج الاستبدالي الحياة / الموت يُقْرَأُ الفاصل المائل بينهما بمعنى «ضدّ»؛ لكن تكفي قراءة ذلك الفاصل بمعنى «على» حتى يحدث التعدّي ويتحطّم الأنموذج الاستبدالي؛ ذلك ما يحصل هنا؛ يوجد هنا تَعَدٍّ غير مُستحَقّ لفضاء على آخر. والمهم هو أن التعدّي يحدث هنا على مستوى اللغة. إن الفكرة القائلة بأن الميّت بإمكانه الاستمرار في الفعل بعد موته هي فكرة مبتذلة؛ فذلك ما يقوله المثل «الميِّتُ يُمْسِكُ بالحيّ»، وذلك ما تقوله الأساطير الكبرى عن النّدم أو عن الانتقام بعد

الوفاة؛ وذلك ما تقوله بصورة هازلة دعابة لورنري : «الموت يعلّم الناسَ الفاسدين الحياةَ»؛ لكنّ فِعْلَ الميّت هنا هو فعلُ لغة مَحْضٍ؛ والأدهى، هو أنّ هذه اللّغة لا تصلح لشيء، لا تستهدف إحلالَ أثَرٍ على الأحياء، ولا تقول شيئاً غير نفسها، إنها تشير إلى نفسها فيما يشبه تحصيل حاصل؛ وقبل أن يقول الصوت : «أنا ميّت». فهو يقول ببساطة : «أنا أتكلّم»؛ وهذا قريب الشبه بمثال نحويّ لا يُحيل على شيء آخر سوى اللغة؛ إن لا جدوى النطق جزء من الصّدمَة؛ يتعلّق الأمر بإثبات جوهر ليس في مَحَلِّه (الإزاحة هي شكلُ الرمزيِّ ذاته).

2 – وصدمة أخرى للتلفّظ، هي انقلاب المجاز إلى حقيقة. إنّه من المبتذل التلفظ بجملة «أنا ميّت!» : ذلك ما تقوله المرأة التي تسوّقت طوال ما بعد الظهر في المتاجر الكبرى، وذهبت إلى صالون الحلاقة، ... إلخ. إن انقلاب المجاز إلى حقيقة، وتحديداً بالنسبة لهذا المجاز بالذات، مستحيل : إن التلفظ بـ« أناميت» على وجه الحقيقة، منبوذ إلى خارج العالم الرمزي (في حين أنّ «أنا أنام» تظل ممكنة على وجه الحقيقة داخل حقل التنويم المغنطيسي). يتعلّق الأمر هنا إذن، إذا شئنا، بصدمة القول.

3 – و يتعلق الأمر كذلك بصدمة اللغة (لا للخطاب فحسب). فداخل المجموع المثالي لكل الملفوظات الممكنة في لغة من اللغات، يكُون إسناد صفة «ميّت» إلى ضمير المتكلم («أنا») هو بالضبط الإسناد المستحيل جذرياً : إنه النقطة الفارغة، واللّطخة العمياء في اللغة، تأتي حكاية إدغار پو لتحتلّها بدقّة شديدة. إنّ ما قيل ليس

شيئاً سوى هذه الاستحالة : الجملة ليست وصفية، وليست تقريرية، ولا مغزى لها سوى تلفظها ذاته؛ وقد نقول بمعنىً مّا أن الأمر يتعلق هنا بصيغة إنجازية، لكن بصورة لم يكن لا **أوستن** ولا **بنفنست**[34] قد توقّعاها في تحليلاتهما (لنذكّر بأن الصيغة الإنجازية هي تلك الصيغة في التلفظ التي بحسبها لا يُحيل الملفوظ إلا على مجرّد النّطق به : أُعْلِنُ الحرب؛ والصيغ الإنجازية هي دائما، بالضرورة، بضمير المتكلم، وإلا فإنها ستنزلق نحو التقريري والإخباري : يُعْلِنُ الحرب)؛ وهنا فإن الجملة غير المُلائِمَة تُنْجزُ استحالة.

4 – من وجهة النظر الدلالية الصِّرف، فإن جملة «أنا ميِّت» تثبت في الوقت ذاته نقيضين (الحياة، الموت) : إنها وَحَدة تلفظية، لكن مرة أخرى، فريدة، فالدالُّ يُعَبِّر فيها عن مدلول (الموت) متناقض مع النطق به. ومع ذلك، لابد من الذهاب أبعد : لا يتعلق الأمر بمجرد إنكار، بمفهوم التحليل النفسي، حيث «أنا ميّت» تعني حينئذ «أنا لست ميّتاً»، لكن بالأحرى يتعلق الأمر بإثبات - نفي : «أنا ميّت ولستُ ميّتاً»؛ وهذا منتهى الانتهاك، وابتكارُ مقولةٍ مَا سُمِعَتْ قط : **الحقيقي - الكاذب، اللا - نعم؛** يتمّ فهم **الموت - الحياة** باعتبارها **كُلاًّ** لا يتجزّأ، غير قابل للتركيب، غير جدلي، لأنّ التناقض لا يتضمّن حَدّاً ثالثاً؛ إنه ليس كياناً ذا وجهين، بل حداً واحداً وجديداً.

5 – إن تفكيراً تحليلياً نفسياً ممكنٌ حول «أنا ميّت». قلنا إن الجملة تُنْجزُ عودةً صَدْميةً إلى المعنى الحَرْفي. وهذا يعني أن الموت، باعتباره مكبوتاً أصلياً، ينفجر مباشرة في اللغة؛ هذه العودة صدمية جذرياً كما تظهره فيما بعد صورة الانفجار (١٤٧ : «صرخات : "ميّت !

ميّت " التي كانت حرفياً تنفجر على اللسان لاعلى شفتي الشخص... »)؛ إن قولة « أنا ميّت » مُحَرَّمٌ مُتَفَجِّرٌ. غير أنه إذا كان الرمزي هو ميدان العُصَاب، فإن عودة المعنى الحَرْفي، التي تنطوي على نَبْذِ الرمز، يفتح فضاءِ الذُّهَان : في هذه النقطة من القصّة، يتوقّف كلُّ رمز، وكلّ عصاب أيضاً، إنّه الذُّهان الذي يقتحم النصَّ، بواسطة النَّبْذِ المذهل للدال : إن الخارق عند پو هو حقاً خارقُ الجنون.

شروح أخرى ممكنة، خصوصاً شرح **جاك دريدا**[35]. و قد اكتفيت بتلك التي يمكن استخلاصها من التحليل البنيوي، محاولاً إظهار أن الجملة الخارقة « أنا ميت » ليست مطلقاً الملفوظ الذي لايُصَدَّقُ، بل هو أشدّ جذرية، إنّه **التلفّظ المستحيل**.

قبل الوصول إلى خلاصات منهجية ،سأعرض، على المستوى الحدثي المحض، نهاية القصة. ظلّ ڤالدمار ميِّتاً تحت التنويم المغنطيسي طوال سبعة أشهر؛ قرّر پ حينئذ، باتفاق مع الطبيبين، إيقاظه؛ نجحت الحركات المغنطيسية وعاد بعض لون الحياة إلى خدّي ڤالدمار؛ لكن بينما كان پ يحاول الإسراع بيقظة الشخص عن طريق تكثيف الحركات، انفجرت صرخات « ميّت! ميت! » على لسانه، ودفعة واحدة، خار جسده، وتفتّت، وتعفّن بين يدي القائم بالتجربة، غير تارك سوى « كتلة مُقَزِّزَةٍ تكاد تكون مائعة، وتفسُّخ فظيع ».

خلاصات منهجية

الملاحظات التي ستكون بمثابة خلاصة لشذرات التحليل ليست بالضرورة « نظرية »؛ فالنظرية ليست تجريدية، تأمّلية : إن التحليل

نفسه، ولو أنه يتناول نصاً عارضاً، قد كان نظرياً قبل ذلك، بمعنى أنه كان يُعَانِي (وهذا هو هدفه) لغةَ قَيْدَ التكوين. وهذا يعني القول - أو التذكير - بأنّنا لم ننجز شرحاً للنص، لقد حاولنا فحسب إدراك المحكي في تتابع مراحل بنائه (مما يقتضي في الآن ذاته البنية والحركة، النظام واللانهائي). وبنْيَنَتُنا لا تذهب أبعد ممَّا تُحققّه عفوياً القراءةُ. فلا يتعلق الأمر إذن، في الخلاصة، بأن نعرض «بنية» حكاية **إدغاريو**، وأقل من ذلك أن نعرض بنية كل محكي، ،إنما فحسب أن نعود من جديد، بطريقة أكثر حرية، وأقل ارتباطاً بالمسار المتدرّج للنص، إلى **الأنساق** الرئيسة التي كشفنا عنها.

ولفظة نسق ذاتها لا ينبغي فهمها هنا بالمعنى الصارم، العلمي للمصطلح. الأنساق ببساطة هي حقولُ تَدَاعٍ واقتران، وتنظيم فوق نصيٍّ من الإشارات التي تفرض فكرة بنية معيّنة؛ إن مقام النسق، بالنسبة لنا، هو ثقافي أساساً : الأنساق أنماطٌ مُعَيَّنة من المَاسَلَفَ رُؤْيَتُهُ، والمَاسَلَفَ قراءتُه، والماسلف فِعْلُهُ، والنسق هو شكلُ هذا **الماسلف** المُكَوِّن لكتابة العالَم.

ومع أن جميع الأنساق ثقافية في الحقيقة، إلا أنّ واحداً منها، من بين جميع الأنساق التي صادفناها، سنمنحه امتيازَ تسمية **النسق الثقافي** : إنه نسق المعرفة، أو بالأحرى المعارف البشرية، والآراء الشائعة، والثقافة كما ينقلها الكتَاب، والتعليم، وبصفة أعمّ وأشدّ انتشاراً، كما ينقلها النشاط الاجتماعي بأكمله. هذا النسق مرجعه هو المعرفة، باعتبارها مجموع القواعد التي أوجدها المجتمع. لقد صادفنا عدداً من هذه الأنساق الثقافية (أو عدداً من أنساقٍ فرعيةٍ للنسق

الثقافي العام) هي : النسق العِلْمي الذي يعتمد (في حكايتنا) في آن واحد على قواعد التجريب وعلى مبادئ الأخلاقيات الطبّية؛ والنسق البلاغي، الذي يضمّ قواعد **القول** الاجتماعية : أشكال السرد النسقية، أشكال الخطاب النّسقية (الإعلان، التلخيص، إلخ.)؛ والتلفظ اللغوي الواصف (الخطاب يتكلّم عن نفسه) جزءٌ من هذا النسق؛ والنسق الزماني : إن «التّأْريخ» الزمني الذي يبدو لنا اليوم طبيعياً، موضوعياً، هو في الحقيقة ممارسة ثقافية جداً. وهذا طبيعي لأنه ينطوي على إيديولوجية معيَّنة عن الزمن (الزمن «التاريخي» ليس هو الزمن «الأسطوري») : إن مجموع الإشارات الزمنية تُكَوِّنُ إذن نسقاً ثقافياً قوياً (أي طريقة تاريخية لتقطيع الزمن من أجل إضفاء الطابع الدرامي، والمظهر العلمي، والإيهام بالواقع)؛ والنسق السوسيو تاريخي يُتيح في التلفظ تعبئةَ كلِّ المعرفة المكتسبة طبيعياً التي لدينا عن زماننا، وعن مجتمعنا ووطننا (أن تقول «السيد ڤالدمار» - لا ڤالدمار فقط - هو كما نذكر مندرج في هذا النسق). ولا ينبغي التضايق من أنه بإمكاننا تشكيل نسق انطلاقاً من ملاحظات مبتذلة للغاية، بل على العكس إن ابتذالها، وتفاهتها الظاهرية، هما اللذان يهيّآنها سلفاً للنسق، كما أوردنا تعريفه آنفاً : مجموعٌ القواعد التي بلغ من ابتذالها أننا صرنا نحسبها سِمَات من الطبيعة؛ لكن المحكي لو خرج عنها فسرعان ما ستصبح **قراءته متعذِّرة**.

يمكن لنسق الاتصال أن يُسَمّى أيضاً نسق المقصد. وينبغي فهم **الاتصال** بمعنى محدود؛ فهو لا يُغطّي كلَّ **الدّلالة** الموجودة في النص، وأقل من ذلك **دلاليته**؛ إنه يشير فحسب إلى كلِّ علاقة يُتَلَفَّظُ بها في

النص باعتبارها مُوَجِّهَةً (تلك هي حال نسق « إقامة الاتصال » المُكَلَّف بالتّشديد على العلاقة بين السارد والقارئ) أو باعتباره مُبَادَلَةً (مبادلة المحكي مقابل الحقيقة ، مقابل الحياة). و خلاصة الأمر أنه ينبغي فهم الاتصال هنا بمعنى اقتصادي (تواصل وتبادل السلع).

إن الحقل الرمزي (« حقل » هنا أقلُّ صلابةً من « نسق ») بالطبع شاسع جداً، ويضاعف من ذلك أننا نأخذ لفظة « رمز » في أعمِّ معنى ممكن لها، دون أن نُرْبِك أنفسنا بأيٍّ من إيحاءاتها المعتادة؛ والمعنى الذي نحيل عليه قريبٌ من معنى التحليل النفسي : إن الرمز، إجمالاً ، هو تلك السِّمة في اللغة التي تُزِيحُ الجسدَ وتتيح « لَمْحَ » مسرح آخر غير مسرح التلفظ بشكله الذي نعتقد أننا نقرأه فيه؛ إنّ الهيكل الرمزي، في حكاية إدغاربو، هو طبعاً انتهاكُ مُحَرَّمِ الموت، وتشويش التصنيف، أيْ ما تَرْجَمَهُ بودليرهنا (جيّداً جدّاً) بعبارة تعدِّي الحياة على الموت (وليس بشكل مبتذل تعدّي الموت على الحياة)؛ إن براعة الحكاية ورهافتها ناتجتان جزئياً من أنّ التلفظ يبدو صادراً عن سارد لارمزي، قد تقمَّص دور العالِم الموضوعي، المتمسِّك بالوقائع وحدها، والغريب عن الرمز (الذي كان لابدّ له من أن يعود بقوة في القصّة).

ماسميناه نسق الأفعال هو في الأساس من الهيكل الحَدَثِي للمحكي؛ وتَنْتَظِمُ الأفعال، أو التلفظات التي تُدَوِّنُ تلك الأفعال، في متواليات؛ وللمتوالية هوية تقريبية (لا يمكن تعيين حدودها بدقّة وبطريقة لا تقبل الجدل)؛ وتجد تبريراً لها بطريقتين : لأننا أثناء القراءة نكُون مَسُوقِين عفوياً إلى إعطائها اسماً نوعياً (مثلاً : إن عدداً معيّناً من الملاحظات، اعتلال الصحة، التدهور، الاحتضار، موتان الجسد

وتميّعه تتجمع طبيعياً تحت فكرة مسكوكة، فكرة «الموت الطبّي»)، ولأن عناصر متوالية الأفعال مترابطة فيما بينها (من عنصر إلى آخر، لأنها تتوالى على طول المحكي) بواسطة منطق مزعوم؛ ونعني بهذا أن المنطق الذي يُؤَسِّس متوالية الأفعال هو، من وجهة نظر علمية، مغلوط جداً؛ إنه منطق في الظاهر فحسب، صادر لا عن قوانين الاستدلال المنطقي الصُّوري، بل عن عاداتنا في التفكير والملاحظة : إنه منطق ظنّي، ثقافي (يبدو لنا «منطقياً» أن تشخيصاً صارماً للمرض يأتي بعد ملاحظة اعتلال الصحة)؛ إضافة إلى ذلك يختلط هذا المنطق مع التسلسل الزمني : ما يَحْدُثُ **بَعْدُ** يبدو لنا كأنّه **مُسَبَّبٌ عن**. فالزمانية والسببية رغم أنهما لا تكونان خالصتين في السرد، تبدوان لنا مُؤَسَّسَتَيْن لنوع من **طبيعية** الحدث ومعقوليته ومقروئيته : إنهما تتيحان لنا مثلاً تلخيص الأحداث (ماكان يسميه القدماء «argument»[36] وهي في آن واحد لفظة منطقية وسردية).

و نسق أخيرقد اخترق (منذ البداية) حكايتنا : نسق **اللُّغْز**. لم نتمكّن من معاينة اشتغاله، لأننا لم نُحلِّل سوى جزء صغير من حكاية **إدغاربو**. يجمع نسق اللغز العناصر التي بواسطة تسلسلها (في ما يشبه **جملة سردية**) يُطرح لغز، وبعد بعض «الإبطاءات»، التي تعطي للسرد كلَّ نكهته، يُكشف عن الحلّ. إن عناصر النسق اللغزي (أو التأويلي) متمايزة جيداً؛ يجب مثلاً تمييز **طرح** اللغز (كل إشارة يكون معناها «هنا يوجد لغز») عن **عرض** اللغز (يُعْرَض السؤال ضمن احتماله)؛ في حكايتنا، اللغز مطروح في العنوان ذاته (إنه العرض العلمي حول المسائل المرتبطة بالتجربة المقصودة)، بل إنه

منذ البداية يجري تبطيئه؛ ومن الواضح أن كلّ محكي له مصلحة في تبطيء حلّ اللغز الذي يطرحه، لأن ذلك الحل سيعلن موت المحكي باعتباره محكياً؛ وقد رأينا أن السارد يستخدم فقرة بأكملها لتبطيء عرض الحالة، تحت ستار احترازات علمية. أما عن حل اللغز فهو هنا ليس حلاً من مرتبة حلول الرياضيات؛ إن مجموع المحكي هو الذي يجيب عن سؤال البداية، سؤال الحقيقة (هذه الحقيقة يمكن أن تنكشف في نقطتين : التلفظ بعبارة «أنا ميت» والتميّع المباغت للميت بعد إيقاظه من التنويم المغنطيسي)؛ إن الحقيقة ليست موضوع **كَشْف**، بل هي موضوع **تحويل**[37].

هذه هي الأنساق المخترقة للشذرات التي أنجزنا تحليلها. وقد تعمّدنا عدم بنْيَنَتها أكثر من هذا، ولم نحاول توزيع العناصر داخل كل نسق، حسب ترسيمة منطقية أو سيميولوجية؛ ذلك أن الأنساق، بالنسبة لنا، ماهي إلا **الماسلف قراءته**، وبدايات تناصّ : إن الطابع المُتَشَعِّث للأنساق ليس مناقضاً للبنية (كما يُعتقد أن الحياة، والخيال، والحدس، والفوضى تُناقِض النظام والعقلانية)، بل هو على العكس (وهذا هو التأكيد الأساسي للتحليل النصّي) **جزء لا يتجزأ من البَنْيَنَة**. إن «تشعُّث» النصّ هذا هو مايُميِّز البنية - وهي موضوع التحليل البنيوي بحصر المعنى - عن البَنْيَنَة - وهي موضوع التحليل النصّي الذي حاولنا ممارسته هنا.

الاستعارة النَّسيجيّة التي استعملناها آنفاً لم تكن عَرَضاً. فالتحليل النصّي يدعو إلى تصوُّر النص باعتباره **نسيجاً** (فضلاً عن أن ذلك هو أصله الاشتقاقي [في اللغة الفرنسية])، وجَديلة من أصوات مختلفة،

وأنساق متعدّدة، هي في آن واحد متشابكة ولا مكتملة. إن المحكي ليس فضاء مجدولاً، وبنية مُسطَّحة، إنه كتلة، وتجسيم (كان **آيز نشتاين** (38) يُلِحّ كثيراً على الطّباق في إخراجه السّينمائي مُدَشّناً بذلك تطابقاً بين الشريط السينمائي والنص)؛ هناك **حقل إنصات** للمحكي المكتوب؛ وصيغة حضور المعنى (ربما باستثناء متواليات الأفعال) ليست هي التطوّر، بل **التفجّر**: إنها دعوات إلى التواصل، والاتصال، ومواقع العَقْد، والمبادلة، وتفجّرات المرجعيات، والتماعات المعرفة، وضربات أشد خفاء، وأشد نفاذاً، صادرة عن «المسرح الآخر»، مسرح الرمزي، وانقطاع الأفعال المرتبطة بمتوالية واحدة، لكن بطريقة رخوة، تنفصم دون توقّف.

كل هذه «الكتلة» مسحوبة إلى الأمام (نحو نهاية المحكي)، مثيرة بذلك لهفة القراءة، تحت تأثير ترتيبين بنيويين: أ. **الانجدال**: تنفصل عناصر متوالية أو نسق، وتنجدل مع عناصر هجينة؛ إن متوالية من المتواليات (مثلاً تدهور صحة فالدمار) تبدو مهجورة متروكة، لكنها **تُستأنف** بعد ذلك، أحياناً بعد مسافة في النص طويلة؛ يوجد خَلْقٌ لانتظار وتوقُّع؛ بل نستطيع الآن تعريف المتوالية: إنها تلك البنية الصغرى المتموّجة التي تبني، لا موضوعاً منطقياً، بل توقُّعاً وحلاً لهذا التوقع؛ ب. **اللاّمعكوسية**: رغم الطابع العائم للبَنْيَنة في المحكي الكلاسيكي، المقروء (مثل حكاية **إدغاريو**)، فهناك نسقان يحافظان على نظام مُوَجّه: نسق الأفعال (القائم على نظام منطقي زمني)، ونسق اللغز (تُتَوَّجُ المسألةُ بِحَلِّها)؛ وهكذا تُخْلَقُ لامعكوسيةُ المحكي (أي أنّه يسير في اتّجاه واحد لا ينعكس

ولايتوقّف). وهذه النقطة طبعاً هي التي تستهدفها محاولات التدمير الحديثة لمقروئية النص الكلاسيكي : إن الطليعة (فيما لو احتفظنا بهذه اللفظة السّهلة) تحاول جعل النص من أوّله إلى آخره قابلاً للانعكاس، و نَبْذَ الرواسب المنطقية الزمانية، ومهاجمة **عالم التجربة المألوفة** (منطق أشكال السلوك، نسق الأفعال) ومهاجمة فكرة **الحقيقة** (نسق الألغاز). لكن لا ينبغي المبالغة في المسافة التي تفصل النص الحديث عن المحكي الكلاسيكي. لقد رأينا في حكاية **إدغاربو** أن جملة واحدة كثيراً ما تُحيل على نسقين مُتَآنِيَيْن، دون إمكانية اختيار أيهما «الحقيقي» (مثلا النسق العلمي والنسق الرمزي) : إن ميزة المحكي، لحظة بلوغه صفة **نص**، هي إجبارنا على **لاجَازِمِيَة** الأنساق. باسم ماذا سنكون جازمين في حكمنا؟ باسم المؤلِّف؟ لكن المحكي لا يُقدِّم لنا سوى مُتَلَفِّظٍ ومُنْجِزٍ مُتَوَرِّطٍ في إنتاجه. باسم هذه المدرسة النقدية أو تلك ؟ إنها جميعها قابلة للرفض، يَجْرِفها التاريخ (وهذا لا يعني أن لا جدوى منها. فكل واحدة تشارك، لكن **لفائدة صوت واحد فحسب**، في كتلة النص) . إن عدم الجزم ليس نقيصة، لكنه شرط بنيوي للسرد : لا يوجد تحديد وحيدٌ المعنى للتلفظ؛ أنساق عديدة، وأصوات عديدة هي هنا في الملفوظ دون أي امتياز. إن الكتابة تحديداً هي هذا الفقدان للأصل، هذا الفقدان لـ«الدوافع» لفائدة كتلة من المُحَدِّدَات أو المحدِّدات الإضافية؛ وهذه الكتلة هي تحديدا **الدّلالية**. تأتي الكتابة في اللحظة بالضبط حيث يتوقّف الكلام، أي انطلاقاً من اللحظة التي لم يعد فيها ممكناً تَبَيُّن **مَن يتكلّم** وحيث يُعَايَنُ فقط أنّ **الهُوَ شَرَعَ يتكلّم**.

هوامش الفصل الثالث

25 ـ لقد قمت بمحاولة تحليل نصي لحكي باكمله (ولن يكون الأمر كذلك هنا، لضيق المجال) في كتابي S/Z
(Paris, Ed du Seuil, 1970)

26 ـ من اجل تحليل اكثر دقّة لمفهوم الوحدة القرائية، وكذا عن الترتيبات الإجرائية التي ستلي، انا مضطر للإحالة على S/Z المرجع المذكور.

27 - Edgar allan Poe, Histoires extraordinaires, traduction de Ch. Baudelaire, Paris, NRE; Livre de poche, 1969, P.329 - 345

[ومن الواضح اننا سنترجم النص الذي اشتغل عليه بارت، أي ترجمة الشاعر الفرنسي الشهير شارل بودلير، وانظر في الملحق النص الكامل للترجمة العربية المعتمدة على نص بودلير. المترجم].

28 ـ الكتفرة هي إحالة عنصرفي النص على ما سيليه ويكون معه في حالة ارتباط [المترجم].

29 ـ بالإنجليزية في الأصل [المترجم].

30 ـ فرانز ميسمر (Mesmer) (1734 ـ 1815)، طبيب ألماني، مؤسس نظرية المغنطيسة الحيوانية، المسماة ميسمرية [المترجم].

31 ـ جان مارتان شاركو (Charcout) (1825 ـ 1893)، طبيب فرنسي مشهور باعماله حول الأمراض العقلية، وقد كان استاذاً لفرويد في باريس [المترجم].

32 ـ هنا جناس، غير قابل للترجمة، بين dit - entre و interdit [المترجم].

33 ـ انظر الملحق [المترجم].

34 ـ وارين أوستن وإميل بنفنيست، عالمان لسانيان، الأول إنجليزي والثاني فرنسي. قد وضعا اساس النظريات التداولية والتلفظية في اللسانيات المعاصرة [المترجم].

35 - Jacques Derrida : La voix et le phénoméne. Paris P.U.F 4éme ed. 1983; p: 60 - 61

36 ـ تعني هذه الكلمة في المنطق القضية أو القضايا التي تستخلص منها نتيجة وتعني في السرد ملخص مسرحية او محكي او كتاب [المترجم].

37 ـ في الأصل الفرنسي هناك جناس بين : révélation = كشف و révulsion = تحويل [المترجم].

38 ـ سرجي آيزنشتاين (1898 ـ 1948) سينمائي روحي من اعظم مخرجي الأفلام [المترجم].

ملحق

الحقيقة عن حالة السيد ڤالدمار

لـ إدغار آلن پو

أنْ تكون حالة السيد ڤالدمار الخارقة قد أثـارت النقاش، فذلك لا يدعو حقاً للاندهاش. ستكون معجزة لولم يكن الأمر كذلك، خصوصاً في مثل تلك الظروف . إن رغبة كل الأطراف المعنية بأن يظلّ الأمر سراً، على الأقل في الوقت الحاضر، بانتظار فرصة تحريات جديدة، وجميع جهودنا للنجا ح في ذلك قد أفسحت المجال لرواية مبتورة أو مبالغ فيها ذاعت بين الجمهور، والتي بتقديمها للقضية في أمقت مظاهر الزّيف قد صارت بالطبع مصدراً لتكذيب شديد.

وقـد صار من الـلازم الآن أن أعـرض الـوقـائـع، عـلى الأقل بقدر ما فهمته منها. وهاهي بإيجاز :

انجذب اهتمامي، في هذه السنوات الثلاث الأخيرة، مرات عديدة

نحو التنويم المغنطيسي؛ ومنذ حوالي تسعة أشهر، أثارت انتباهي فجأة فكرة أنه في سلسلة التجارب التي أُجريت حتى اليوم كانت توجد ثغرة مهمة جداً وغريبة جداً : ـ لا أحد قد تعرّض للتنويم المغنطيسي in articulo mortis[39] [على شفا الموت]. فتبقى معرفة، أوّلاً، إن كان يوجد عند الخاضع للتنويم قابلية أيّاً كانت للتيار العصبي المغنطيسي؛ وثانياً، وفي حال الإيجاب، أيُضْعف منها ذلكَ الظرف أو يضاعف من قوّتها؛ وثالثاً، إلى أيّ حدّ وحتى أيّ مدة زمنية يمكن للعملية أن توقف تعدّيات الموت. كانت هناك نقاط أخرى يلزم فحصها، لكن هذه الثلاث كانت الأشد إثارة لتطلعي، ـ والأخيرة منها على الخصوص، لما لعواقبها من طابع خطورة هائل.

وفيما أنا أبحث حولي عن شخص يمكنني بواسطته استيضاح هذه النقاط، هداني التفكير إلى صديقي السيد إرنست ڤالدمار، المُصنِّف المعروف لكتاب **المكتبة القضائية**، والمؤلِّف (تحت الاسم المستعار : يَسَّاكر ماركس) لترجمة بولونية لمسرحية **ڤالنشتاين** ورواية **غارغنتوا**[40]. إن السيد ڤالدمار، الذي يقطن عادة في هارلم (نيويورك) منذ سنة 1839، يتميّز، أو كان متميّزاً على الخصوص بنُحُوله المفرط، فأطرافه السفلى شبيهة كثيراً بأطراف جون راندولف[41]، وكذا ببياض عارضيه اللذين يتنافران مع شعر رأسه الأسود، الذي يحسبه الجميع نتيجة لذلك شعراً مستعاراً. كان طبعه عصبياً للغاية ويجعل منه موضوعاً صالحاً لتجارب التنويم المغنطيسي. كنت قد توصلت، في مناسبتين أو ثلاث، إلى إخضاعه للتنويم دون صعوبة كبرى، لكن أملي خاب فيما يتعلق بالنتائج الأخرى التي كان

مزاجه الخاص قد جعلني بالطبع أتوقّعها، لم تكن إرادته أبدا مستسلمة يقينياً وكلّياً لتأثيري، وفيما يخص **الاستبصار** لم أنجح في أي شيء يمكن الاعتماد عليه. وكنت أنسب دائماً إخفاقي في هذه النقاط إلى اختلال صحته. فقد كان الأطباء، بضعة أشهر قبل الفترة التي تعرّفت فيها عليه، قد أعلنوا إصابته بسلّ رئوي حاد. والحق يقال إنه كان من عادته أن يتحدث عن نهايته الوشيكة بكثيرمن رباطة الجأش، كما لو كانت أمراً لا يمكن تلافيه ولا الحسرة عليه.

لما خطرت ببالي للمرة الأولى الأفكار التي عبّرت عنها منذ قليل، كان من الطبيعي أن أفكر في السيد ڤالدمار. كنت على تمام العلم بفلسفة الرجل المتينة بحيث لم أكن أخشى أيّ تردّد من جانبه، ولم يكن له أقرباء في أمريكا يمكن احتمال تدخُّلهم. صارحته بالموضوع؛ ولعظيم دهشتي، بدا عليه اهتمام حادّ بالأمر. قلت لعظيم دهشتي إذ رغم تفضّله دائماًبتسليم شخصه لتجاربي، فإنه لم يُفصح أبداً عن تعاطفه مع دراساتي. كان مرضه من الأمراض التي تسمح بحساب دقيق لزمن **نهايته**؛ فحصل الاتفاق أخيراً بيننا على أنه سيبعث لإحضاري أربعاً وعشرين ساعة قبل الحدّ الذي عيّنه الأطبّاء لموته.

ومنذ سبعة أشهر من الآن توصلت من السيد ڤالدمار نفسه بالبطاقة التالية :

عزيزي پ....

يمكنك المجيء **الآن**. لقد اتفق د... وف... على القول بأنني لن أتخطى غداً منتصف الليل؛ وأعتقد أن حسابهما صحيح، أو يكاد.

ڤالدمار

تلقّيت هذه البطاقة نصف ساعة بعد كتابتها، وبعد خمس عشرة دقيقة على الأكثر، كنت في غرفة المحتضر. لم أكن قد رأيته منذ عشرة أيام، فأفزعني التدهور الرهيب الذي أصابه في هذه المدة القصيرة. كان وجهه رصاصي اللون؛ والعينان منطفئتين تماماً، وبلغ من الهزال أن خرقت الوجنتان البشرة. النَّفْثُ كان مفرطاً، والنبض لا يكاد يكون محسوساً. غير أنه كان يحتفظ بطريقة غريبة جداً بكل قواه العقلية وبمقدار معيّن من القوّة البدنية. كان يتكلّم بوضوح، ويتناول دون عون من أحد بعض العقاقير المُسكِّنة، ولما دخلت إلى الغرفة كان منهمكاً في تدوين بعض الملاحظات على مفكّرته. كانت وسادات تسنده على فراشه، والطبيبان د...وف... يقدّمان له إسعافاتهما.

بعد أن صافحت السيد ڤالدمار، اختليت بالطبيبين وحصلت على عرض مدقّق عن حالة المريض. كانت الرئة اليسرى منذ ثمانية عشر شهراً في حالة شبه عَظْمية أو غضروفية وبالنتيجة غير صالحة تماماً لأيّ وظيفة حيوية. والرئة اليمنى في منطقتها العليا قد تعظَّمت كذلك، إن لم تكن في مجموعها، فعلى الأقل جزئياً ، في حين أن الجزء الأسفل لم يعد سوى كتلة من الدَّرَنات المتقيِّحة، متداخلة في بعضها البعض. كانت توجد عدة ثقوب عميقة وفي موضع معيّن كان التزاق دائم للضلوع. هذه الظواهر في الفصّ الأيمن كانت بالمقارنة ذات عهد حديث. لقد تمشّى التعظُّم بسرعة غريبة جداً. إذ لم يُكتشف أي عَرَض من أعراضه شهراً قبل الآن، والالتزاق لم يُلاحظ إلا في هذه الأيام الثلاثة الأخيرة. وفضلا عن السل الرئوي، كان يُشتبه في وجود تنفُّخ بالشريان الأورطي، لكن أعراض التعظّم كانت

تمنع أي تشخيص دقيق فيما يخص هذه النقطة. كان من رأي الطبيبين أن السيد ڤالدمار سيموت غداً الأحد نحو منتصف الليل.

كُنّا يوم السبت والساعة كانت السابعة مساء. كان الطبيبان د...وف... وهما يغادران سرير المحتضر ليتحدثا معي، قد ودّعاه الوداع الأخير. لم تكن لهما نيّة في العودة، لكنهما بناء على طلبي، قَبِلا أن يأتيا لمعاينة المريض نحو العاشرة ليلاً.

لما انصرفا، تحادثت بحريّة مع السيد ڤالدمار عن موته الوشيك، وخصوصاً عن التجربة التي اعتزمناها. أظهر أنه مفعم بنيَّة حسنة، بل أبان عن رغبة قوية في هذه التجربة وحثّني على البدء فوراً. كان خادمان، رجل وامرأة، حاضرين لتقديم عونهما؛ لكنني لم أكن أحس نفسي حراً تماماً لأتورّط في مهمة بمثل هذه الخطورة دون شهادات أخرى أكثر مدعاة للاطمئنان من الشهادات التي يمكن أن يُدلي بها هذان الشخصان في حالة حادث مفاجئ. فأرجأت العملية إذن حتى الساعة الثامنة، حينما أنقذني نهائيا من الحَرَج وصول السيد ثيودور ل...، و هو طالب في الطب كنت على بعض الصلة به. كنت قبل هذا قد قرّرت انتظار الطبيبين؛ لكن الذي حثّني على الشّروع فوراً هو أوّلا التماسات السيّد ڤالدمار المُلِحّة، وثانياً قناعة أنه ماعادت عندي لحظةٌ أضيعها، لقد كان من الواضح أنه يموت.

كان السيّد ل... من اللّطف بحيث استجاب للرغبة التي عبّرتُ عنها بأنْ يُدَوِّنَ ملاحظات عن كلّ ما سيحدث؛ و عن المحضر الذي دوّنه استنسختُ تقريباً سردي. وحيث لم أُلَخِّص، فإنّني قد نسختُ حرفياً.

كانت الساعة حوالي الثامنة إلا خمس دقائق، لما أمسكت بيد

المريض، وطلبت منه أن يؤكّد للسيد ل...، بكل ما في وسعه من الوضوح، أن تلك كانت رغبته القاطعة، هو ڤالدمار، أن أقوم بتجربة التنويم المغنطيسي عليه، في مثل هذه الظروف.

أجاب بضعف، لكن بوضوح شديد : «نعم، أرغب في أن أخضع للتنويم المغنطيسي». مُضيفاً بعد ذلك فوراً : «أخشى أن تكون أبطأتَ أكثر من اللازم».

شرعتُ، وهو يتكلّم، في الحركات التنويمية التي عرفتُ قبل ذلك أنها الأكثر نجاعة لتنويمه. من الواضح أنه قد تأثر بالحركة الأولى ليدي التي مرّت بجبهته؛ لكن رغم بذلي لكل طاقتي، لم يظهر أي أثر محسوس آخر حتى الساعة العاشرة وعشر دقائق، و لما وصل الطبيبان د...وف... في الموعد. أفصحت لهما في كلمات قليلة عن نيّتي، وإذْ لم يُبْديا أيّ اعتراض، قائلين إن المريض كان سلفاً في مرحلة الاحتضار، واصلت عملي دون تردد، غير أني غيرت الحركات الجانبية إلى حركات طولية، مركزاً نظري بأكمله تماماً في عيْن المحتضر.

أثناء ذلك، صار نبضه خَفِيّاً، وتنفسّه منظوماً يتخلله انقطاع لمدة نصف دقيقة. دامت هذه الحالة ربع ساعة، دون تغيير تقريباً، إلا أنه في انقضاء هذه المدة انفلتت من صدر المحتضرتنهيدة طبيعية، وإن كانت عميقة عمقاً فظيعاً، وتوقّف التنفس الشاخر، أي أن شخيره لم يعد محسوساً ، وفواصل التنفس لم تنقص. أطراف المريض كانت في برودة الصقيع.

في الساعة الحادية عشرة إلا خمس دقائق، لاحظت أعراضاً غير ملتبسة للتأثير المغنطيسي. كان ترجرج العين الكابي قد استحال إلى

ذلك التعبير المتعذّر تحمّله للنظرة **نحو الداخل** التي لا تُشاهَد أبداً إلا في حالات النومشة[41]، ومن المستحيل الخطأ في تأويلها؛ وببعض التنويمات الجانبية السريعة، جعلت الجفنين يختلجان، كما حين يستبد بنا النعاس، وببعض الإلحاح أغلقتهما تماماً. لكن ذلك لم يكن كافياً بالنّسبة لي، فواصلتُ حركاتي بقوّة و بأقصى اندفاعٍ من الإرادة، إلى أنْ شَلَلْتُ كلّياً أطراف النائم، بعد أن جعلتها ظاهرياً في وضع مُرِيح. كانت الساقان ممدودتين تماماً، والذراعان منسرحتين تقريباً، هامدتين على الفراش على بعد قليل من صلبه. كان الرأس مرتفعاً قليلاً.

لما قمت بكل هذا، كان منتصف الليل تماماً، فطلبت من هؤلاء السادة فحص حالة السيد ڤالدمار. اعترفوا بعد بعض التجارب، أنه كان في حالةِ جُمْدَةِ تنويم مغنطيسي كاملة بشكل خارق. كان فضول الطبيبين بالغ الاستشارة. فقرّر الدكتور د... فجأة قضاء الليل كله بجانب المريض، بينما استأذن الدكتور ف... في الانصراف واعداً إيّانا بالعودة مع طلوع الشمس، وبقي السيد ل... والممرّضيْن.

تركنا السيد ڤالدمار على حاله حتى الساعة الثالثة صباحاً؛ آنئذ اقتربت منه وألفيته في الحالة نفسها تماماً حين كان قد انصرف الدكتور ف... أي أنه كان متمدداً بالهيئة نفسها : النبض غير محسوس، والتنفس خفيف، لايكاد يكون محسوساً، ماعدا بإلصاق مرآة على الشفتين؛ والعينان مغمضتان طبيعياً، والأطراف بصلابة وبرودة المرمر. لكن المظهر العام لم يكن بالتأكيد مظهر الموت.

بذلت، وأنا أقترب من السيد ڤالدمار، نوعاً من نصف جهد لحث ذراعه اليمنى على متابعة ذراعي في الحركات التي كنت أقوم بها هنا

وهناك فوق شخصه. في الماضي، لمّا كنت قد حاولت هذه التجارب عليه، لم تكن أبداً تنجح بالكامل، وبالتأكيد لم أكن أتوقّع النجاح في هذه المرة أيضاً، لكن لعظيم دهشتي، تبع ذراعُهِ ببطء شديد جميعَ الاتجاهات التي كان ذراعي يُعيِّنها له، رغم أنه كان يشير إليها بضعف. قررت محاولة مخاطبته ببعض الكلمات، فقلت :

ـ السيد ڤالدمار، أأنت نائم؟

لم يُجب، لكنني لمحت رعشة على شفتيه، وكنت مضطراً لتكرار سؤالي مرة ثانية وثالثة. وفي المرة الثالثة اهتز كيانه كله برجفة؛ وارتفع جفناه تلقائيا بمقدار مايكشفان عن خط أبيض من المقلة، تحركت الشفتان برخاوة وانفلتت منهما هذه الكلمات في همس لايكاد يُفهم :

ـ نعم؛ أنام الآن. لاتوقظوني! اتركوني أموت هكذا!

جسست أطرافه ووجدتها بالصلابة نفسها. كان الذراع الأيمن، كما كان شأنه آنفاً، يطيع اتجاه يدي. سألت المنومش مرة ثانية :

ـ أتحس دائماً بألم في الصدر، ياسيد ڤالدمار؟

لم يكن الجواب فورياً؛ وكان أقل وضوحاً من الأوّل :

ـ ألم ؟ لا، أنا أموت.

لم أر من اللائق أن أعذّبه أكثر من ذلك في تلك اللحظة، ولا جديد قيل أو حدث حتى وصول الدكتور ف... الذي سبق بقليل طلوعِ الشمس، وعبّر عن دهشة لاحدّ لها و هو يجد المريض مايزال حياً. وبعد أن جسّ نبض المنومش وألصق مرآة على شفتيه، طلب منّي أن أكلّمه من جديد، استجبت للطلب وقلت له :

ـ أأنت دائماً نائم، ياسيّد ڤالدمار؟

وكما سلف، انقضت عدّة دقائق قبل الجواب؛ وأثناء تلك المدة،

بدا على المحتضر أنه يستجمع كل طاقته ليتكلّم. وعن سؤالي الذي كرّرته للمرّة الرابعة، أجاب بصوت ضعيف جداً، غير مفهوم تقريباً:

ـ نعم، دائماً؛ أنا أنام، أنا أموت.

فكان حينئذ من رأيي، أو بالأحرى من رغبة الطبيبين، أن يُسمح للسيّد ڤالدمار أن لا يتعرّض للإزعاج في هذه الحالة الراهنة من الهدوء الظاهر، حتى حصول الموت؛ وهذا سيحدث لامحالة، بإجماعهما، في مدة خمس دقائق. لكنني قرّرت أن أكلمه من جديد مرة أخرى، وكرّرت سؤالي السابق فحسب.

بينما كنت أتكلم، طرأ تحوّل متميّز في هيأة المنومش، انفتحت العينان وهما تدوران في محجريهما، واختفت الحدقتان إلى الأعلى؛ واكتست البشرة لوناً جَدَثياً عاماً، لايشبه الرُّق بقدر ما يشبه الورق الأبيض؛ واللطختان الدّقيتان الدائريتان الناتجتان عن حُمّى السلّ الرئوي اللتان كانتا راسختين بقوة في وسط كل خدّ، **انطفأتا** فجأة. استخدمت هذا التعبير، لأنّ فُجَاءة اختفائهما ذكّرتني أكثر من أيّ شيء آخربشمعة تُطْفَأ. وفي الوقت ذاته، تقلّصت الشّفة العليا مرتفعة فوق الأسنان التي كانت تغطيها تماماً قبل قليل، في حين أنّ الفكّ الأسفل سقط بارتجاج مسموع، تاركاً الفم فاغراً، وكاشفاً تماماً عن لسان أسود مُتَوَرِّم. كنت أفترض أن كل الشهود كانوا معتادين على فظائع فراش الموت؛ لكن مظهر السيد ڤالدمار في تلك اللحظة كان من البشاعة، بشاعة تتجاوز كل تصور، بحيث حدث تقهقر عام بعيداً عن منطقة الفراش.

أشعر الآن أنني قد بلغت نقطة في سردي حيث القارئ الحانق سيحرمني من أي تصديق. لكن واجبي هو أن أستمرّ.

لـم يـعد في الـسـيـد ڤالـدمـار أدنى عَرَضٍ من أعراض الحيوية؛ ولما استنتجنا موته، تركناه لعناية الممرضين، وإذا بحركة اهتزاز قوية تظهر على اللسان. دام هذا دقيقة ربّما. وفي انقضاء هذه المُدَّة، تَفَجَّر من الفكّين الفاغرين والجامدين صوت، صوت سيكون من الجنون محاولة وصفه. لكن يوجد نعتان أو ثلاثة يمكن تحديده بها على وجه التقريب. وهكذا قد أقول إن الصوت كان خشناً، مشروخاً، أجشّ؛ لكن البشاعة الكلّية لا يمكن تحديدها، لأن مثل هذه الأصوات لم تولول أبداً في سمع البشرية. غير أنه كانت توجد خاصيتان اعتقدت آنئذ ومازلت أعتقد الآن، أنه يمكن اعتبارهما مميِّزتين لنغمة الصوت، وقادرتين على إعطاء فكرة عن غرابته الخارجة عن نطاق الأرض. أولاً، كان يـبـدو أن الصوت يبلغ آذانـنـا، أو أذنـيّ عـلـى أي حال، كما لو كان ذلك من مسافة سحيقة جداً، أو من بعض الهاويات الجوفية. وثانياً إن أثره عليّ (أخشى في الحقيقة أنه يستحيل عليّ تبيان ما أريد قوله) كان على شاكلة أثر المواد اللّزِجة أو الهُلامية على حاسّة اللمس.

تحدثت في آن واحد عن الصوت ونغمته، وأعني أن تبيان الصوت للمقاطع كان واضحاً، بل واضحاً بشكل رهيب، مرعب. كان السيد ڤالدمار يتكلّم، طبعاً ليجيب عن السؤال الذي كنت قد وضعته عليه دقائق قبل هذا. كنت سألته، كما نذكر، إن كان ينام دائماً. كان يقول الآن :

ـ نعم، لا، نِمْتُ؛ والآن، الآن أنا مَيِّت.

لا أحد من الأشخاص الحاضرين لم يحاول أن ينفي ولا حتى

يكبح الاستفظاع الرَّاجِف والفائق الوصف الذي كانت هذه الكلمات القليلة جديرة بخلقه. أُغْمِي على السيد ل... الطالب. وهرب المرضان على الفور من الغرفة. وكان من المستحيل إقناعهما بالعودة. أما عن إحساساتي الخاصة، فلن أزعم جعلها مفهومة للقارئ. خلال مايقارب الساعة، انشغلنا في صمت (لم ننطق بكلمة واحدة) بإرجاع السيد ل... إلى الحياة. ولما استردّ وعيه، استأنفنا تحرّياتنا حول حالة السيد ڤالدمار.

ظلّ من كل الوجوه كما وصفته في آخر مرة، ما عدا أن المرآة لم تعد تعطي أي أثر للتنفس. وأخفقتْ محاولةٌ لِفَصْدِ الذراع. ولابد لي من ذكر أن ذلك العضو لم يعد مُنْقَاداً لإرادتي. حاولت عبثاً أن أجعله يتبع اتجاه يدي. والمؤشّر الوحيد الحقيقي للتأثير المغنطيسي كان يظهر الآن في حركة اللسان الاهتزازية. في كل مرة كنت أُوَجِّهُ فيها سؤالاً إلى السيد ڤالدمار، كان يبدو عليه أنه يبذل جهداً للإجابة لكن لم تكن لديه الإرادة الكافية. أما عن الأسئلة التي يلقيها شخص آخر غيري فقد كان فاقداً للإحساس إطلاقاً، رغم أني حاولت جعل كل فرد من الجماعة على اتصال مغنطيسي به. أعتقد أنني الآن قد سردت كل ما هو ضروري لتفهيم حالة المنومش خلال تلك الفترة. دبّرنا ممرضين آخرين، وفي العاشرة خرجت من البيت بصحبة الطبيبين والسيد ل... بعد الظهر، عدنا جميعاً لمعاينة الشخص المنوَّم. لم تتغيّر حالته على الإطلاق. حينئذ جرى بيننا نقاش حول ملاءمة إيقاظه وإمكانية ذلك؛ لكنّنا سرعان ما اتّفقنا على أنه لن تنتج عن ذلك أي فائدة. كان من الواضح أنه حتى هذه اللحظة، فإن الموت، أو ما نعنيه

عادة بكلمة **موت**، قد أَوْقَفَتْهُ عمليةُ التنويم المغنطيسيّ. وبدا لنا جميعاً جَليّاً أن إيقاظ السيد ڤالدمار، سيكون مجرّد تأكيد للحظته الأخيرة، أو على الأقل تسريعاً لاختلاله.

ومنذئذ حتى نهاية الأسبوع الماضي ـ **مدّة سبعة أشهر تقريباً**، كنا نجتمع يومياً في بيت السيد ڤالدمار، مصحوبين بأطباء وأصدقاء آخرين. وطوال كل هذه المدة ظل المنومش تماماً كما وصفته. ومراقبة الممرضين له كانت دائمة.

كان يوم الجمعة الفائت حيث قرّرنا أخيراً القيام بتجربة الإيقاظ، أو على الأقل محاولة إيقاظه؛ وكانت النتيجة، المؤسفة ربّما، لهذه المحاولة الأخيرة هي التي وَلَّدَتْ كلَّ هذا القدر من النّقاشات في الحلقات الخاصة، وكل هذه الإشاعات التي لا أستطيع أن أمنع نفسي من أن أرى فيها نتيجة سذاجة شعبية لامبرر لها.

كي أُخْرِجَ السيّد ڤالدمار من جُمْدَتِه المغنطيسية، استعملت الحركات المعتادة. ولبعض الوقت لم تكن لها أيّ نتيجة. وكان أوّل عَرَضٍ من أعراض العودة إلى الحياة انخفاض جزئي لقزحية العين. لاحظنا كواقعة هامة جداً أن هذا النزول كان مصحوباً بتدفق غزير جداً لسائل يميل إلى الصُّفرة (من تحت الجفنين) ذي رائحة حرّيفة وكريهة للغاية.

أُشير علي بمحاولة التأثير على ذراع الشخص الخاضع للتنويم، كما في الماضي. حاولت فلم أستطع. وعبّر الدكتور ف... عن رغبته في أن أوجّه له سؤالاً. فعلت ذلك كما يأتي :

ـ السيّد ڤالدمار، أتستطيع أن تشرح لي ما هي الآن إحساساتك ورغباتك؟

حصلتْ عودةٌ فورية لدائرتي حُمّى السلّ الرئوي على الخدّيْن؛ ورَجَفَ اللّسان أو بالأحرى دار بعنف في الفم (مع أنّ الفكّيْن والشّفتين ظلّت دائماً جامدة)، وبعد مدّة تفجّر الصّوت الفظيع نفسه الذي كنتُ قد وصفْتُه:

ـ لوجه اللّه! بسرعة! بسرعة! أَنيمُوني، أو، بسرعة! أَيْقظوني! بسرعة! **أقول لكم إنّي ميِّت!**

كنت واهن الأعصاب تماماً، و مُدّة دقيقة ظللتُ متردِّداً حول ما ينبغي لي فعله. بذلت أوّلاً جهداً لتهدئة الشّخص الخاضع للتّنويم؛ لكن هذا الفراغ التام لإرادتي لم يكن يسمح لي بالنّجاح في ذلك، ففعلت العكس و حاولتُ بكلّ سرعة ممكنة أن أوقظه. و سريعاً رأيت أنّ هذه المحاولة سيكون لها النّجاح التّام، أو على الأقلّ تصوّرتُ أنّ نجاحي سيكون عن قريب كاملاً. و عندي اليقين أن كلّ مَنْ في الغرفة كان يتوقّع يقظة المُنَوْمَش.

أمّا ما حدث في الواقع، فلا بَشَرَ كان بإمكانه أبداً أنْ يتوقّعه؛ إنّ ذلك يتجاوز كلّ شيءٍ ممكن.

لمّا كنت أقوم سريعاً بالحركات **المغنطيسية** و سط صرخات: « ميّت! ميّت! » التي كانت حرفياً تنفجر على اللّسان لا على شفتي الشّخص الخاضع للتّنويم، فإنّ جسده، دفعة واحدة، و في ظرف دقيقة واحدة، بل أقلّ، انهار، و تَفَتَّت، و تعفّن كلّياً بين يديّ. و على الفراش ، أمام كلّ الشّهود، كانت ترقد كتلةٌ مُقَزِّزَةٌ تكاد تكون مائعة، و تفسُّخ فظيع.

هوامش الملحق

39 ـ باللاتينية في الأصل [المترجم].

40 ـ ڤالنشتاين مسرحية للشاعر الألماني فردريك شيلر، وغارغنتوا رواية للكاتب الفرنسي فرانسوارابلي [المترجم].

41 ـ جون راندولف (1773 ـ 1833)، أحد أعضاء مجلس الكونغرس الأمريكي كان "پو" يسخر منه [المترجم].

42 ـ النومشة : المشي والكلام والقيام بحركات أثناء النوم [المترجم].

قاموس

- أ -

Communication	-إبلاغ
Corrélation	ارتباط متبادل
Déplacement	إزاحة
Paradigmatique	استبدالي
Redondance	إطناب
Phatique (Fonction)	إقامة الاتصال (وظيفة)
Citation	اقتباس
Associatif (champ)	اقتران (حقل)
Dissémination	انبذار
Performance	إنجاز
Ecart	انزياح
Anaphore	أَنْفَرة
Connotation	إيحاء
Effet de réel	إيهام بالواقع

- ب -

Structure	بنية
Structuration	بنينة

- ت -

Herméneutique	تأويلي
Fiction	تخييل
Associatif (champ)	تداع (حقل)
Schèma	ترسيمة
Stéréotype	تركيب مسكوك
Coder	ترميز
Dénotation	تعيين
Enonciation	تلفظ
Catalyse	تمطيط
Intertextualité	تناصٍ
Intertextuel	تناصِّي
Communication	تواصل
Montage métonymique	توليف كنائي
Fétichiste	تيْمِي

- ج -

Période	جملة دورية تامة

- ح -

Aphasie	حُبْسَة
Champ symbolique	حقل رمزي
Diégétique	حكائي

- خ -

خاتمة الجملة التامة	Clausule
خطاب	Discours

- د -

دال	Signifiant
دلالة	Signification
دلالية	Signifiance

- ذ -

ذات	Sujet
ذُهَان	Psychose

- ر -

رسالة	Message
رسم بياني	Diagramme

- س -

سرد	Récit, narration

- ص -

صَوْرَنة (صياغة صورية)	Formalisation

- ع -

عائدية	Diaphore
عامل	Actant
عاملي	Actanciel
عُصاب	Névrose
علامة	Signe
علم أسماء الأعلام	Onomastique

عِيّ	Aphasie
- غ -	
غير جازم، غير قابل للحكم الجازم	Indécidable
- ف -	
فاعل	Sujet
فوق طبيعي	Surnaturel
- ق -	
قابل للقراءة	Lisible
قرينة	Indice
- ك -	
كَتْفَرة	Cataphore
كفاية	Compétence
كلام (فردي)	Parole
كنائي	Métonymique
- ل -	
لغة واصفة	Métalangage
- م -	
متتالية	Suite
متوالية	Séquence
متوالية فرعية	Sous -Séquence
محاكاة	Mimèsis
محكي	Récit
مدلول	Signifié
مُركّبي	Syntagmatique
مقروئية	Lisibilité

Adjuvant	مساعد
Vraisemblance	مشابهة الحقيقة
Vraisemblable	مشابه للحقيقة
Lexical	معجمي
Sens	معنى
Opposant	مُعَوِّق
Passage, segmant	مَقْطع
Sème	مُقَوِّم دلالي
Enoncé	ملفوظ
Paradoxe	مناقضة
Paradoxal	مناقضي
Thèmatique	موضوعاتية

- ن -

Forclusion	نبذ
Code	نسق
Sous-code	نسق فرعي
Code métalinguistique	نسق لغوي واصف
Code topographique	نسق مكاني
Codé	نسقي
Epithète	نعت
Noyau	نواة

- و -

Embrayeur	واصل كلامي
Lexie	وحدة قرائية
Marque	وَسْم
Positiviste	وضعوي

الفهرس